الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عباس لغرور-خنشلة-

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي
تخصص: نقد حديث ومعاصر

الأنا والآخر في رواية "قناع بلون السماء" لـ"باسم خندقجي"

بحث مقدم لقسم اللغة والأدب العربي لاستكمال مقاييس شهادة الماستر

إعداد الطالبة
رهان زرزوح

إشراف الأستاذ:
د. نبيل قواس

لجنة المناقشة

الإسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
إيمان مرداسي	أستاذ محاضر -أ-	عباس لغرور-خنشلة-	رئيسا
نبيل قواس	أستاذ محاضر -أ-	عباس لغرور-خنشلة-	مشرفا ومقررا
فهيمة حمداوي	أستاذ محاضر -ب-	عباس لغرور-خنشلة-	مناقشا

السنة الجامعية: 2025/2024

مـــقدمة

مقدمة:

يمثل الأدب الفلسطيني واقع الشعب الفلسطيني على مر العصور، ولا شكّ أنّ تلك الظروف التاريخية والسياسية، والاجتماعية، والثقافية، والثورية قد أفرزتْ تجربة أدبية خاصّة ومميّزة، أشاد بها مجموعة من الأدباء من خلال رواياتهم المخلدة للقضايا الفلسطينية، التي امتازت بروح الانتماء سواء داخل الوطن أو خارجه أبان الأدب تحولات الهوية الفلسطينية في مواجهة الاستعمار والتشرد والصراعات الداخلية إبان الاحتلالات المتعاقبة فهو أساسي للحفاظ على الهوية الوطنية والذاكرة الجمعية الفلسطينية كما هو أداة للرفض والمقاومة ضد محاولات طمس هذه الهوية.

أدّت الرواية الفلسطينية دورا محوريا في صياغة صورة الأنا الفلسطينية سواء من خلال الأنا الخاضعة التي تواجه قسوة الواقع من مختلف جوانبه أو الأنا السلطة التي تسعى لمقاومة الاحتلال والنضال من أجل الحقوق بحثا وحفاظا على الهوية كما تسعى في تقديم صورة معقدة ومتناقضة للأنا الفلسطينية في مواجهة الأخر سواء الاحتلال الصهيوني أو تحديات الشتات من خلال الأدب ورواياته الفلسطينية.

ظل النضال يشهد رحلة طويلة في البحث عن الأنا الذات في مواجهة الأخر، ساعيّا نحو تشكيل الوعي الوطني الفلسطيني، وتعزيز ارتباط الفلسطينيين بأرضهم وهويتهم في ظل الظروف الصعبة التي يمرون بها.

من هذا المنطلق تسعى هذه الدراسة إلى البحث عن صراع الهوية وثنائية الأنا والآخر، وبعد أن تخمّرت الفكرة في الذّهن، ارتأينا اختيار موضوع وسمناه بـــ " الأنا والأخر في رواية قناع بلون السماء". وقد كان وراء انتقائنا لهذا الموضوع أسباب ذاتية وأخرى موضوعية. أمّا الذاتية فتتعلّق بما يلي:

- شغفي بالقضية الفلسطينية والرغبة في كشف تحولات الهوية بين شخصيات وظفها خندقجي لتكون شخصيات تمارس إيديولوجيات متناقضة لنستكشف في ختام روايته،

هل استطاع بطل الرواية أن يصنع هويته ويبني شخصيته بمنعزل عن أشكال الجوانب الخارجية؟

وأما الأسباب الموضوعية فترتبط بـــ:

- النّزوع إلى فن الرواية عامة والرواية الفلسطينية خاصة، من خلال التعمّق في القضية الفلسطينية حاضرا ومستقبلا.
- محاولة فحص الثنائيات الضدّية في رواية خندقجي، والسعي لتقديم قراءة نقدية يمكن من خلالها النّفاذ إلى معرفة طبيعة هذه الثنائيات والكشف عن سرّ ورودها.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الدراسة، ما كان لها أن تكتمل فصولها، دون أن ترتكز على مجموعة من المصادر والمراجع المتنوعة التي تقدم لـها زادا معرفيا كافيا ولازما في جميع جوانبها الأدبية والنقدية، تبعا لمعطيات ومتطلبات فصول البحث ولعل من بين هذه المصادر والمراجع المعتمدة:

المصدر: رواية قناع بلون السماء لباسم الخندقجي.

المراجع: جون بول سارتر الوجود والعدم

- ادوارد سعيد: الثقافة والامبريالية
- صالح سعد: الأنا والآخر ازدواجية الفن التمثيلي

ولقد قادنا كلّ هذا إلى طرح الإشكالية الآتية: كيف دمج الروائي ثنائية الأنا والآخر؟ وقد تفرّعتْ عنها تساؤلات عدّة يمكن طرحها كالآتي: إلى أيّ مدى يمكن للأدب أن يعبّر عن ذات تبحث عن حقيقتها في مرآة الآخر؟ كيف تجلى صراع الهوية في الرواية؟ وهل هو صراع داخلي ناتج عن تعدد اللإنتماءات أم خارجي فرضته الهيمنة الاستعمارية ؟وهل هو صراع يدفع لمعرفة الأنا أم أنه حاجز معيق؟ هل الأنا مجبرة أن ترتدي قناعا لكي يتقبلها الآخر؟ أم هي مجرد رمز وُفق فيها الروائي لتعتبر وسيلة تحرر اضطهدها الآخر؟

وللإجابة عن هذه التّساؤلات وضعنا خطّة بحث ممنهجة بدايتها مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة.

تضمن المدخل نشأة وتطور الرواية الفلسطينية قبل وبعد النكبات. أما الفصل الأول المعنون: الأنا والآخر في صراع الهوية، تمّ التركيز فيه على ثنائية الأنا والآخر وصورة الأنا في مفهوم الهوية.

في حين جاء الفصل الثاني تطبيقيا ووُسم بـ: "تجليات الأنا والآخر في رواية قناع بلون السماء " تطرّقنا فيه إلى: صراع الهوية ونبش جذور الآنا وتجليات الذاكرة الجمعية طبقنا اللغة وسؤال الهوية– إعتبارا اللغة وسيلة وصفية ام انها وسيلة لتطور الوعي–

أما الخاتمة وهي أهم الاستنتاجات التي توصلنا إليها من خلال الدراسة.

ولقد اقتضت طبيعة البحث اعتماد المنهج التّاريخي، الذي يقف عند نشأة الرواية الفلسطينية، وما طرأ عليها من تبدلات وتحوّلات، ممزوجا في بعض الأحايين بالمنهج النفسي الذي يقف على تحليل نفسية الرّوائي وتجلّي تلك الصّراعات النفسية بين الأنا والآخر.

وككلّ البحوث، جابهتنا صعاب عدّة أشدّها احتياج البحث إلى الإلمام بفنّ الرواية عامة ونشأة الرواية الفلسطينية على وجه الخصوص، ثمّ تداخل هذا الموضوع مع الفلسفة، وكذلك مدى ثرائه واتساع معلوماته، إذ يحتاج إلى وقت كبير من الدراسة والبحث.

وفي الختام لا يسعنا إلا تقديم كلمة شكر منا للأستاذ الفاضل الدّكتور **قواس نبيل** إزاء مجهوداته وكلّ ملاحظاته الدقيقة والسديدة التي قدمها لي. كما أتقدم بالشكر إلى أعضاء اللجنة المناقشة على قراءة البحث وتقويمه.

مدخل

الرواية الفلسطينية

1- النشأة والتطور

2- الرواية الفلسطينية قبل النكبة

3- أول الروايات الفلسطينية: يوسف حنا وروايته "زهراء"

4- تأثير الاستعمار البريطاني على الرواية الفلسطينية

5- الرواية الفلسطينية بين التأثر بالتيارات الأدبية العالمية والحركات العربية

6- الكاتب الفلسطيني بين الواقع الاجتماعي والاحتلال السياسي

7- الرواية الفلسطينية في مواجهة التحديات السياسية

8- الرواية الفلسطينية بعد النكبات 1948 / 1967 / 1987

9- تأثير نكبة 1948 على الأدب الفلسطيني:

تعد الرواية الفلسطينية تمثل أحد أبرز أشكال الأدب العربي الحديث الذي نشأ في سياقات تاريخية معقدة، يتداخل فيها التاريخ الاجتماعي والسياسي العميق لفلسطين مع التطور الأدبي العربي. يمكننا القول إن الرواية الفلسطينية، على الرغم من تأثرها بالأدب العربي الأوسع، قد تطورت في سياق فريد مميز بسبب الظروف السياسية الخاصة التي عاشها الشعب الفلسطيني على مدار العقود، من الاستعمار العثماني مرورًا بالانتداب البريطاني وصولًا إلى النكبة وتشريد الشعب الفلسطيني عام 1948، ومرورًا بالنكسة وتطورات الحياة في الشتات والمخيمات، ثم وصولًا إلى معاناة الاحتلال الإسرائيلي المستمر.

يتماشى نشأة االرواية الفلسطينية وتطورها بشكل كبير مع تطورات الحياة السياسية والاجتماعية للشعب الفلسطيني. فالرواية الفلسطينية لم تكن مجرد شكل من أشكال التعبير الأدبي، وإنما كانت أداة حية لتوثيق الأحداث التاريخية، ومتابعة معاناة الشعب الفلسطيني، وعكس آماله وتطلعاته، ورؤية تطوره المستقبلي في مواجهة تحديات الاحتلال والغربة. سنستعرض في هذا المدخل كيف نشأت الرواية الفلسطينية، وهل تأثرت بالواقع السياسي والاجتماعي، ثم هل استطاع الأدب الفلسطيني أن يعكس هذه التحولات الكبرى؟.

1- النشأة والتطور

تأثرت فلسطين في بدايات القرن العشرين، بموجات الحركات الأدبية التي بدأت تنشأ في العالم العربي، مثل حركة النهضة الأدبية التي كان مركزها في مصر والشام. رغم أن فلسطين لم تكن مركزًا للأدب العربي في ذلك الوقت، إلا أن هذا التأثير الخارجي كان له دور كبير في تشكيل معالم الأدب الفلسطيني، خاصة في النصف الأول من القرن العشرين.

اعتمد الأدب الفلسطيني في معظمه على الشعر منذ بداية هذا القرن، ولم تظهر الرواية كنوع أدبي إلا في فترة لاحقة. لكن بداية ظهور الرواية الفلسطينية يمكن تحديدها في عشرينيات القرن العشرين، حيث بدأ بعض الكتاب الفلسطينيين بالكتابة بشكل سردي، وإن كان محدودًا في البداية.

2- الرواية الفلسطينية قبل النكبة

تمثل الرواية الفلسطينية قبل النكبة مرحلة مهمة في تطور الأدب الفلسطيني الحديث، حيث تُمثل البذرة الأولى للسرد الفلسطيني الذي سيستمر في تطوره على مدار العقود. هذه الفترة شهدت ظهور الأدب السردي الفلسطيني الذي جاء ردًا على الظروف السياسية والاجتماعية في فلسطين، والتي تأثرت بشكل رئيسي بالاحتلالات الأجنبية والصراع الوطني الفلسطيني من أجل الاستقلال والحرية. في هذه الفترة، لم تكن الرواية الفلسطينية محكومة بالأسلوب السردي المعاصر الذي نعرفه اليوم، لكن الكتاب الفلسطينيين في تلك الفترة أسهموا في بناء الهوية الأدبية الفلسطينية، وساهموا في نقل هموم الشعب الفلسطيني وتطلعاته بشكل مبتكر رغم القيود.

سنستعرض تطور الرواية الفلسطينية قبل النكبة في هذا الجزء من خلال التطرق إلى عدة محاور رئيسية تشمل نشوء الرواية الفلسطينية، موضوعاتها، وأسلوب الكتابة، وأهم الكتاب الذين ساهموا في تأسيس هذا النوع الأدبي في فلسطين، بالإضافة إلى تأثيرات الرواية العربية والعالمية على الأدب الفلسطيني في تلك الفترة.

3- أول الروايات الفلسطينية: يوسف حنا وروايته "زهراء"

تعد رواية "زهراء" للكاتب الفلسطيني يوسف حنا (1910) واحدة من أولى الأعمال الأدبية الروائية التي ظهرت في فلسطين، على الرغم من أن هذا العمل لا يتسم بطابع الرواية الحديثة الذي سنشهده لاحقًا في الأدب الفلسطيني، ولكنه يمثل بداية لكتابة الرواية على الطريقة التقليدية. "زهراء" لم تكن معنية بالقضايا السياسية مباشرة، بل كانت رواية اجتماعية تناولت العلاقات الإنسانية في المجتمع الفلسطيني، متأثرة بالأدب العربي الذي كان يتطور في مصر ولبنان في تلك الفترة. (حنا، 1910، صفحة 35)

رغم أن يوسف حنا لم يتعرض بشكل مباشر للقضايا السياسية في روايته، إلا أن التغيرات التي كانت تحدث في فلسطين، خاصة بعد الاحتلال البريطاني لفلسطين عام 1917،

انعكست بشكل غير مباشر في أعماله. الرواية كانت تهدف إلى تقديم صورة اجتماعية عن المجتمع الفلسطيني، مع التركيز على قضايا مثل الفقر والظروف الاجتماعية.

4- تأثير الاستعمار البريطاني على الرواية الفلسطينية

شهدت الأرض الفلسطينية منذ بداية الإحتلال البريطاني لها تحولات كبيرة في بنيتها السياسية والاجتماعية. وقد كان لهذا الاحتلال تأثير كبير على الأدب الفلسطيني، إذ تزامن هذا مع بداية انتشار القومية العربية والحركات الوطنية التي كانت تسعى للاستقلال. وبالرغم من أن الرواية الفلسطينية في تلك الفترة لم تتناول هذه القضايا بشكل مباشر، إلا أن تأثير الاحتلال كان حاضراً في الأعمال الأدبية.

عكس الأدب الفلسطيني في هذه المرحلة معاناة المجتمع الفلسطيني في ظل الاحتلال البريطاني، مع محاولات بسيطة لطرح القضايا الوطنية والاجتماعية في شكل سردي. لكن الصراع الفلسطيني–اليهودي، الذي بدأ يتصاعد في تلك الفترة، لم يكن له تأثير كبير بشكل فوري على الرواية الفلسطينية، التي كانت تركز أكثر على الجوانب الاجتماعية أكثر من الجوانب السياسية في البداية. (كنفاني، 1963، صفحة 68)

5- الرواية الفلسطينية بين التأثر بالتيارات الأدبية العالمية والحركات العربية

تأثرت الرواية الفلسطينية بالعديد من التيارات الأدبية العالمية والعربية، خاصة تلك التي نشأت في مصر ولبنان. ففي تلك الفترة، كان الأدب العربي في مصر يشهد حالة من التغيير الكبير بفضل الحركات الأدبية مثل الواقعية، والرمزية، والحداثة. هذه الحركات كانت تسعى لإيجاد شكل أدبي جديد يتماشى مع التغيرات السياسية والاجتماعية التي كانت تعيشها المنطقة العربية.

تأثرت الرواية الفلسطنية بشكل خاص بالواقعية الاجتماعية التي كان يروج لها الأدباء المصريون مثل توفيق الحكيم. وقد حاول الكتاب الفلسطينيون في تلك الفترة تقليد بعض الأساليب السردية التي اعتمدها الأدباء المصريون في رواياتهم، لكنها ظلت تفتقر إلى الخيال

الأدبي العميق الذي كان موجودًا في الأدب العربي التقليدي. وقد كانت الرواية الفلسطينية قبل النكبة تركز على موضوعات اجتماعية، مثل العلاقات بين الأفراد في المجتمع الفلسطيني، والصراعات داخل العائلات، وكذلك الحياة اليومية في القرى والمدن الفلسطينية. (الحكيم، 1975، صفحة 82)

6- الكاتب الفلسطيني بين الواقع الاجتماعي والاحتلال السياسي

تعتبر الرواية الفلسطينية في هذه الفترة عبارة عن مزيج من التأملات الاجتماعية والملاحظات حول الحياة اليومية في ظل الاحتلال البريطاني. ولعل الموضوعات التي عالجها الكتاب الفلسطينيون تتراوح بين القضايا الاجتماعية والسياسية، ولكن بالطبع كانت القضايا الاجتماعية تأخذ نصيبًا أكبر. تناول الأدب الفلسطيني القضايا المتعلقة بالحياة الريفية، وعلاقات السلطة في المدن، وكذلك مشاكل الفقر والبطالة التي كان يعاني منها الفلسطينيون في ظل السياسات الاستعمارية.

ومن بين الكتاب الفلسطينيين الذين بدأوا في هذه الفترة بالكتابة عن هذه الموضوعات نجد **إسماعيل الناظر**، الذي كتب العديد من المقالات الأدبية والروايات التي تناولت الحياة الفلسطينية في ظل الاحتلال البريطاني. لقد كانت رواياته تجمع بين السرد الاجتماعي والتحليل النفسي للأفراد والمجتمعات، وهو ما كان يشكل إضافة جديدة للأدب الفلسطيني (الناظر، 1947، صفحة 45)

7- الرواية الفلسطينية في مواجهة التحديات السياسية

بدأ الادب الفلسطيني يأخذ منحى اكثر تعبيرا عن هموم الناس في مواجهة الاحتلال لبريطاني والهجرة اليهودية مع ظل الاوضاع السياسية المتدهورة في فلسطين مع بداية الثلاثينيات من القرن العشرين وعلى الرغم من أن الأدب الفلسطيني قبل النكبة لم يتجه بشكل مباشر نحو الصراع الفلسطيني-الصهيوني في أعماله الأدبية، إلا أن الخوف من المستقبل كان حاضرًا في خلفية الكثير من الأعمال الأدبية (شقير، 1999، صفحة 49)

الرواية الفلسطينية قبل النكبة لم تكن تقتصر على تسجيل الصراعات السياسية، بل كانت محاولة لرصد الحياة اليومية للشعب الفلسطيني في مواجهة الظلم الاجتماعي والاحتلال، والبحث عن مخرج لهذه الحياة المعقدة. وقد ساهمت هذه الروايات في تأسيس أدب فلسطيني يبحث في جوهر المجتمع الفلسطيني، ويسجل تجاربه في ظل الاحتلال. (كنفاني، 1963، صفحة 76)

لقد كانت الرواية الفلسطينية قبل النكبة في حالة تطور مستمر، وأدت إلى نشوء أدب فلسطيني يعبّر عن واقع معقد ومتعدد الأبعاد. قد لا تكون الرواية الفلسطينية قبل النكبة قد تناولت القضية الفلسطينية بشكل مباشر كما حدث في الأدب الذي تلى النكبة، ولكنها كانت بمثابة الجسر الذي ربط بين الأدب العربي بشكل عام والأدب الفلسطيني، وأسهمت في تحديد ملامح الأدب الفلسطيني في مرحلة لاحقة.

8- الرواية الفلسطينية بعد النكبات 1948 / 1967 / 1987

تغيرت معالم الحياة الفلسطينية بشكل جذري بعد نكبة 1948. هذا التحول الكبير في حياة الفلسطينيين انعكس بشكل مباشر على الأدب الفلسطيني الذي أصبح يعبر عن التجربة الفلسطينية في الشتات. وعلى الرغم من أن الرواية الفلسطينية كانت قد بدأت في الظهور قبل عام 1948، إلا أن النكبة كانت بمثابة نقطة تحول كبيرة في الأدب السردي الفلسطيني، حيث أصبح الأدب أكثر ارتباطًا بالقضايا السياسية والوطنية.

9- تأثير نكبة 1948 على الأدب الفلسطيني:

تزامن حدوث النكبة مع بداية ظهور الأدب السردي الفلسطيني بشكل أكثر وضوحًا. وشكلت النكبة تحديًا كبيرًا للكتّاب الفلسطينيين، إذ وجدوا أنفسهم في مواجهة مع واقع مؤلم من التهجير والمجازر والنزوح عن الأراضي. إن هذا الوضع المعقد جعل الأدب الفلسطيني أكثر تركيزًا على تصوير المعاناة الفلسطينية، مثلما هو الحال في روايات مثل "عائد إلى حيفا" لغسان كنفاني.

1. غسان كنفاني: الثورة في الأدب الفلسطيني

يعد غسان كنفاني من أبرز الكتاب الفلسطينيين الذين تناولوا قضية الشتات الفلسطيني في رواياته. روايته "عائد إلى حيفا" (1969) هي واحدة من أشهر الأعمال الأدبية الفلسطينية التي تجسد واقع الشعب الفلسطيني بعد النكبة. في هذه الرواية، يتناول كنفاني قضية العودة إلى فلسطين من خلال قصة زوجين فلسطينيين يعودان إلى مدينتهما حيفا بعد مرور عشرين عامًا على النكبة. الرواية تبرز تساؤلات الإنسان الفلسطيني عن هويته وعن الحق في العودة إلى وطنه، في ظل الواقع الجديد الذي فرضه الاحتلال. (كنفاني، 1963، صفحة 112)

وقد شكلت روايات كنفاني وغيرها من الروايات في فترة ما بعد 1948 نقطة تحول في الأدب الفلسطيني، حيث أصبح الأدب أداة للتوثيق السياسي والنضالي، وعبرت الروايات عن مقاومة الاحتلال ورفض التوطين وتأكيد الحق في العودة.

2. نكبة 1967: الأدب الفلسطيني في ظل الاحتلال المباشر

تعرضت الأراضي الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة للتهديد المباشر بالاحتلال الإسرائيلي في عام 1967، وذلك بعد هزيمة الجيوش العربية في حرب يونيو (حرب الأيام الستة). هذا الحدث ألحق ضررًا كبيرًا بالقضية الفلسطينية، وجعل الأدب الفلسطيني يدخل مرحلة جديدة من التعبير عن معاناة الفلسطينيين في ظل الاحتلال المباشر.

3. أثر نكبة 1967 على الرواية الفلسطينية:

أصبح الأدب الفلسطيني يتسم بمزيد من التفاؤل والأمل في مواجهة الاحتلال بعد نكبة1967. ففي هذه الفترة، بدأت الروايات الفلسطينية تركز بشكل أكبر على التفاعل مع الاحتلال، وتوثيق الحياة اليومية في ظل القمع والمجازر الإسرائيلية، إلى جانب التركيز على قضية المقاومة والصراع الفلسطيني من أجل التحرير.

4. إميل حبيبي: الواقعية السياسية في الأدب الفلسطيني

عبر اميل حبيبي في روايته "المتشائل" (1974) بشكل كبير عن القضية الفلسطينية في ظل الاحتلال عن حالة الإحباط والتشوش التي مر بها الشعب الفلسطيني بعد نكسة 1967. الرواية التي تنتمي إلى الأدب الساخر تتناول حياة فلسطيني يعيش في إسرائيل، وتطرح بأسلوب هزلي الانتقادات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي يعاني منها الفلسطيني في الداخل الفلسطيني المحتل. الرواية تمثل نوعًا جديدًا من الأدب الفلسطيني الذي جمع بين الواقعية والرمزية والسخرية، مما جعلها إحدى العلامات البارزة في الأدب الفلسطيني بعد نكبة. (حبيبي، 1974، صفحة 58)

5. انتفاضة 1987: الأدب الفلسطيني في زمن الثورة

اندلعت الانتفاضة الفلسطينية الأولى ضد الاحتلال الإسرائيلي في الأراضي الفلسطينية المحتلة. هذه الانتفاضة كانت عام 1987 بمثابة إعلان عن رفض الاحتلال والسياسات الإسرائيلية التي كانت تمارس ضد الشعب الفلسطيني. في هذه المرحلة، بدأ الأدب الفلسطيني يأخذ منحى نضاليًا أكثر صراحة، إذ أن الكتاب الفلسطينيين أصبحوا يعبرون بشكل واضح عن التجربة الفلسطينية في ظل الانتفاضة.

6. أثر انتفاضة 1987 على الأدب الفلسطيني:

شهدت الرواية الفلسطينية في هذه المرحلة تطورًا في موضوعاتها وأسلوبها، حيث أظهرت الروايات الفلسطينية التي كتبت في هذه الفترة التوترات السياسية والاجتماعية المرتبطة بالانتفاضة، وركزت على حياة الفلسطينيين تحت الاحتلال، وأدوات المقاومة، والمجازر التي ارتكبها الاحتلال ضد المدنيين الفلسطينيين.

7. محمود شقير: كتابة الأدب في زمن الانتفاضة

يعد محمود شقير من أبرز الأدباء الفلسطينيين الذين كتبوا عن هذه الفترة. في روايته *"سيرة مدينة*(1999) "، يتناول شقير حياة الفلسطينيين في الضفة الغربية خلال الانتفاضة، ويعرض صورة عن المعاناة اليومية التي يعيشها الفلسطينيون في ظل القمع الاحتلالي. يتناول الكاتب عبر شخوصه وأحداث الرواية الواقع الفلسطيني المعقد في ظل الانتفاضة، ويصور مقاومة الشعب الفلسطيني بشكل فني جاد يليق بتجربة الثورة. الرواية تعكس بشكل مباشر تأثيرات الانتفاضة على المدينة الفلسطينية وعلاقات الأفراد والجماعات في ظل القمع الإسرائيلي المستمر. (شقير، 1999، صفحة 76)

تطورت الرواية الفلسطينية بشكل كبير بعد النكبات الكبرى التي مر بها الشعب الفلسطيني، حيث انعكست هذه التحولات الكبرى في الأدب الفلسطيني. في مرحلة ما بعد نكبة 1948، أصبحت الرواية أداة للتوثيق السياسي والنضالي، وبدأ الأدب يعبر بشكل أكبر عن الشتات واللجوء. أما في فترة ما بعد نكبة 1967، فقد تحول الأدب الفلسطيني إلى أداة للمقاومة المباشرة ضد الاحتلال، وأصبح الكتاب الفلسطينيون يركزون على الواقع المعيشي تحت الاحتلال. وفي مرحلة الانتفاضة 1987، تحولت الرواية الفلسطينية إلى أداة للتعبير عن مقاومة الاحتلال بكل وسائلها، بما في ذلك الأدب الثوري والفني الذي تميز بالصراحة والواقعية.

الفصل الأول

الأنا والآخر في صراع الهوية

1– ثنائية الأنا والآخر

2– الأنا والآخر: الصراع الداخلي والهويات المتعددة

3– الرمزية في الأدب الفلسطيني: تمثيل الأنا والآخر

4– الأنا الفلسطينية في الأدب المعاصر: التحرر من أسر الآخر

5– الآخر الإسرائيلي في الأدب الفلسطيني

6– صورة الأنا

7– في مفهوم الهوية

تعد قضية الهوية من القضايا المحورية في الأدب الفلسطيني، حيث يشكل صراع الهوية أحد أبرز الملامح التي تعكسها الأعمال الأدبية الفلسطينية. ولعل ثنائية "الأنا" و"الآخر" هي الأداة الأساسية التي يتناول من خلالها الأدباء الفلسطينيون هذه القضية المعقدة، والتي تتداخل فيها الأبعاد السياسية والاجتماعية والثقافية.

يمثل "الأنا" الهوية الفلسطينية في هذا السياق، تلك الهوية التي تتكون من التاريخ العريق والموروث الثقافي والموقع الجغرافي، في حين يمثل "الآخر" القوى التي تهدد وجود هذه الهوية، سواء كان هذا الآخر هو الاحتلال الإسرائيلي الذي سلب الأرض والحقوق، أو القوى الاستعمارية التي تواطأت مع الاحتلال، أو حتى العوامل الداخلية التي قد تؤثر على فهم الفلسطينيين لثقافتهم وهويتهم في ظروف الشتات والتشرد.

يتعدى صراع الهوية في الأدب الفلسطيني عند التصدي للاحتلال أو الدفاع عن الأرض، ليشمل التفاعل مع الهويات الأخرى التي تفرض نفسها على الفلسطيني، سواء كانت هذه الهويات محلية أو إقليمية أو عالمية. ولذا، نجد أن الأدب الفلسطيني قد شهد العديد من التغيرات والتطورات، حيث تتشابك فيه الروايات الشخصية والتاريخية مع قضايا القومية والمقاومة، مما يجعل هذا الصراع بين "الأنا" و"الآخر" أحد أعمق وأكثر المواضيع تعبيرًا عن معاناة الفلسطينيين وأحلامهم.

يتناول هذا الفصل كيفية تجسيد الأدب الفلسطيني لصراع الهوية من خلال هذه الثنائية المعقدة، وكيف يعكس الكتاب الفلسطينيون هذه التجربة في ظل الظروف السياسية والاجتماعية التي مروا بها، بدءًا من مرحلة الاستعمار العثماني، مرورًا بالانتداب البريطاني، وصولاً إلى الاحتلال الإسرائيلي والنكبات التي تلتها.

1- ثنائية الأنا والآخر:

تعد ثنائية "الأنا" و"الآخر" من بين المفاهيم الأكثر أهمية في الأدب الفلسطيني، وهي تعد بمثابة عدسة تحليلية لفهم المكونات النفسية والثقافية والسياسية التي تهيمن على الهوية الفلسطينية. يعتبر هذا الصراع أداة رئيسية لفهم كيف يتعامل الفلسطينيون مع الهوية الشخصية والجماعية، في ظل الإكراهات التي تفرضها القوى الخارجية، مثل الاستعمار الإسرائيلي، والصراعات الداخلية المتعلقة بالشتات واللجوء.

يظهر الصراع بين "الأنا" و"الآخر" بشكل معقد ودائم في الأدب الفلسطيني، حيث أن الفلسطيني في مواجهة الآخر – سواء كان هذا الآخر محتلاً أو قوة استعمارية سابقة أو حتى المجتمعات العربية المجاورة – يختبر تحولًا مستمرًا في تعريفه لذاته وهويته الثقافية والسياسية. إن هذا الصراع لا يُظهر فقط معاناة الفلسطينيين بل ينعكس أيضًا على تحولاتهم النفسية والاجتماعية والعاطفية. وقد يتجسد هذا الصراع في الأدب من خلال الأسلوب السردي، الشخصيات التي تمثل الفئات الفلسطينية المختلفة، وأيضًا الرمزية التي يستخدمها الكتاب في التعامل مع هذه الثنائية.

1-1 الأنا: الهوية الفلسطينية في مواجهة التحديات التاريخية

تعبر الأنا الفلسطينية عن الذات الفلسطينية المتشكلة من خلال التاريخ، الجغرافيا، والذاكرة الجماعية. ففي الأدب الفلسطيني، نجد أن الأنا لا تقتصر على الشخص الفردي، بل تعكس الهوية الجماعية التي تجمع الفلسطينيين في مختلف أماكن وجودهم، سواء في الأراضي المحتلة أو في الشتات. هذه الهوية تتأثر بشكل كبير بالأحداث التاريخية الكبرى التي مر بها الشعب الفلسطيني، مثل نكبة 1948، نكسة 1967، وانتفاضة 1987، وصولًا إلى أحداث العصر الحديث.

يعكس الأدب الفلسطيني في مرحلة ما بعد النكبة هذا الصراع مع الذات عبر أشكال مختلفة من السرد، حيث يُظهر الكتاب الفلسطينيون كيف أثرت الأحداث الكبرى في تشكيل الهوية الفلسطينية. يمكننا أن نلاحظ في أعمال غسان كنفاني، مثل "رجال في الشمس" (1963)، كيف يتم استحضار تجربة الفلسطيني في الشتات وما تعنيه تلك التجربة من انفصال عن الأرض والانتماء. كنفاني يعكس حالة الفلسطيني الذي يحاول الحفاظ على "أنا" وطنية رغم الشتات واللجوء، مما يجعل الشخصية الفلسطينية في رواياته تتسم بالبحث المستمر عن الذات في أوقات الصراع.

تتمثل هذه الأنا في الأدب الفلسطيني أيضًا في الشعور بالانتماء إلى الوطن الذي تم تهجيره منه، والذاكرة التي تتمسك بالأرض والعائلة. في هذا السياق، نجد أن الرواية الفلسطينية في فترة ما بعد 1948 شكلت مصدرًا من مصادر التعبير عن هذه الهوية المشتتة، وارتبطت فكرة الأنا بمفهوم الأرض والوطن. (زكريا، 2010، صفحة 45)

1-2 الآخر: الاستعمار الإسرائيلي والتحديات الاجتماعية

يتمثل الاخر في الادب الفلسطيني أساسًا في الاحتلال الإسرائيلي، الذي لا يعكس فقط العدوان العسكري، بل أيضًا الثقافة والسياسات التي تسعى لتغيير الواقع الفلسطيني في الأرض المحتلة. إن الآخر الإسرائيلي لا يمثل فقط العدو العسكري، بل يحمل أيضًا في طياته تحديات وجودية وثقافية تسعى لتشويه أو إلغاء الهوية الفلسطينية.

يمثل الآخر في الأدب الفلسطيني قوة استعمارية وسعيًا مستمرًا لفرض هوية بديلة تتجاوز الهوية الأصلية. من خلال الأدب الفلسطيني، نجد أن الكاتب يواجه هذا الآخر عبر تصوير الواقع اليومي الذي يعايشه الفلسطيني في الأراضي المحتلة أو في الشتات. يواجه الفلسطيني الآخر ليس فقط من خلال الصراع العسكري، بل من خلال محاولة الاحتلال تحريف التاريخ والذاكرة الفلسطينية من أجل بناء سردية إسرائيلية بديلة.

تسلط الرواية الفلسطينية ما بعد 1948 على كيف يحاول الاحتلال الإسرائيلي تشكيل الواقع الفلسطيني من خلال مشاريع الاستيطان، وإعادة بناء المدن الفلسطينية، وتغيير أسماء الأماكن. كما يظهر الآخر في صورة فئة لا تنفصل عن ثقافة العنف والتمييز، وهذا ما يعكسه الأدب الفلسطيني بشكل مستمر. (التل، 2015، صفحة 98)

2- الأنا والآخر: الصراع الداخلي والهويات المتعددة

يواجه الفلسطيني صراعا داخليا مع الأخر الخارجي الذي يتمثل في الهويات المتعددة التي تكوّن شخصيته، خاصة بعد النكبات الكبرى. في كثير من الأحيان، تجد أن الفلسطيني يعيش في حالة من الازدواجية بين هويته الأصلية وضرورة التكيف مع الظروف الاجتماعية والسياسية الجديدة. لذا، ينعكس هذا الصراع الداخلي في الأدب الفلسطيني بشكل جلي من خلال التوترات بين الهوية الفلسطينية الأصلية والهويات المعاصرة التي فرضها الاحتلال أو الشتات.

تظهر هذه الازدواجية بوضوح في أعمال مثل "سيرة مدينة" لمحمود شقير (1999)حيث تتنقل الشخصية بين هويات متعددة، ما بين الهوية الفلسطينية الأصيلة والتي تتصل بالجذور، وبين الهويات التي يتبناها الإنسان الفلسطيني في المنافي، مثل الهوية العربية أو هوية الشتات. هذا التداخل بين الهويات المختلفة يعكس الصراع الداخلي الذي يعيشه الفلسطيني. (شقير، 1999، صفحة 129)

3- الرمزية في الأدب الفلسطيني: تمثيل الأنا والآخر

يعتبر استخدام الرمزية من أهم الأدوات التي تعكس صراع الأنا والأخر في الأدب الفلسطيني. الرمزية الفلسطينية لا تنحصر عند الصراع المباشر بين الاحتلال الفلسطيني، بل تتناول أيضًا البُعد النفسي والثقافي لهذا الصراع. الرمزية في الرواية الفلسطينية يمكن أن

تعكس حالة الفلسطيني في ظل الاحتلال، سواء كان هذا في حالة الشتات أو في الأراضي المحتلة. على سبيل المثال، يستخدم العديد من الكتاب الفلسطينيين الرمزية للتعبير عن معاناة الفلسطينيين في أوقات الصراع، كما في استخدام الألوان والرموز الطبيعية التي تعكس التهجير أو النكبة.

4- الأنا الفلسطينية في الأدب المعاصر: التحرر من أسر الآخر

تتخذ ثنائية الأنا والأخر بعدا جديدا في الأدب الفلسطيني المعاصر الذي يتمثل في عملية التحرر من أسر الآخر، وإعادة بناء الهوية الفلسطينية بعد عقود من الاستعمار والاحتلال. في هذا السياق، نجد أن الأدب الفلسطيني المعاصر يعكس محاولات الفلسطينيين لتحديد هويتهم بشكل مستقل، بعيدًا عن التأثيرات الاستعمارية التي طالما فرضت نفسها على الرواية الفلسطينية. ويظهر ذلك جليًا في الأعمال الحديثة التي تتناول الصراع الفلسطيني بأسلوب يعكس تطلعات جديدة نحو الحرية والتقرير المصير.

نجد الكاتبة الفلسطينية سحر خليفة في رواياتها مثل *"صقر قريش*(2009) "، من أبرز الكتاب المعاصرين الذين يشتغلون على هذه القضية حيث تسلط الضوء على دور النساء في الحفاظ على الهوية الفلسطينية، وكيف أن الفلسطينيين بدأوا في هذه الفترة إعادة صياغة مفاهيمهم الثقافية وتحريرها من أسر الآخر. (خليفة، 2009، صفحة 98)

إن ثنائية الأنا والآخر في الأدب الفلسطيني هي أكثر من مجرد تمثيل للواقع السياسي والاجتماعي، بل هي انعكاس لصراع دائم بين الهوية الفلسطينية المستمرة في مواجهة تحديات مستمرة، سواء كانت هذه التحديات من الخارج أو من الداخل. عبر الأدب، يتمكن الفلسطينيون من التعبير عن تجربتهم الخاصة والمعقدة، وهو ما يجعل هذا الأدب جزءًا أساسيًا في فهم الهوية الفلسطينية في سياقاتها المختلفة (أبو الغد، 2012، صفحة 125)

أ– مفهوم الأنا

يستخدم مفهوم الانا استخداما كبيرا في الأدب الفلسفي والنقدي، وله دور محوري في الأدب الفلسطيني، يشير "الأنا" إلى الذات التي تكون محور الوجود الشخصي والجماعي، وهو الإحساس بالهوية التي تربط الفرد والمجموعة بجذورهم الثقافية والتاريخية. (كانط، 1993، صفحة 78) في الأدب الفلسطيني، يعتبر "الأنا" عنصرًا أساسيًا في صياغة الهوية، خصوصًا في ظل الاحتلال الإسرائيلي والنكبات التي مر بها الشعب الفلسطيني.

يمكن النظر الى الأنا من الناحية الفلسفية على أنه مفهوم فردي يحدد التفاعل بين الذات والوجود، كما وضعه الفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر. (سارتر، 2012، صفحة 112) لكن في الأدب الفلسطيني، يرتبط "الأنا" بالجانب الجماعي للشخصية الفلسطينية، فالأنا الفلسطينية تتجاوز مفهوم الفردية لتشمل الهوية الجمعية للشعب الفلسطيني في مواجهة القوى الاحتلالية.

فهي تشكل جوهر الوجود الفلسطيني، وتخضع للصراع المستمر من أجل البقاء، الحفاظ على الهوية، والدفاع عن الحقوق السياسية والثقافية. (خليفة، 2009، صفحة 109)

تتمثل "الأنا" الفلسطينية في مجموعة من العناصر المرتبطة بالأرض، التراث، الذاكرة، والتاريخ المشترك. الأرض في الأدب الفلسطيني هي مركز الهوية، والشخصيات الفلسطينية في الأعمال الأدبية لا ترى نفسها ككيانات مستقلة أو منعزلة، بل مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بهذه الأرض التي تعرضت للتهجير والاحتلال. من خلال الروايات الفلسطينية، نلاحظ كيف يعبر الكتاب عن الأنا الفلسطينية بمختلف أبعادها: من النضال ضد الاحتلال، إلى الحفاظ على اللغة والثقافة الفلسطينية، وصولًا إلى محاولة إعادة بناء الهوية بعد النكبات الكبرى. (أبو الغد، 2012، صفحة 132)

- **الأنا الفلسطينية في الأدب المعاصر:**

تتغير الأطر التي يتحرك فيها الانا في الأدب الفلسطيني المعاصر، حيث يتم تعزيز مفاهيم المقاومة والتحرير. في هذا السياق، نجد أن الأنا الفلسطينية تُعاد تشكيلها باستمرار، سواء في الأراضي المحتلة أو في الشتات. فمثلاً، في رواية *"عائد إلى حيفا"* لغسان كنفاني، يظهر الصراع الداخلي للأنا الفلسطينية بين الانتماء للأرض وبين تجارب اللجوء والتشرد التي عاشها الفلسطيني بعد نكبة 1948. في الرواية، يسعى الأنا الفلسطيني للعودة إلى أرضه واستعادة ذاكرته الجماعية التي تم محوها بفعل الاحتلال. (أبو الغد، 2012، صفحة 139)

يمكن فهم كيف أن الأنا الفلسطينية تمثل علاقة عقدة ين التاريخ الشخصي والجماعي من خلال الأدب الفلسطيني، حيث يسعى الفلسطيني للبقاء متماسكًا في وجه قوى التدمير التي تلاحقه. تبرز الأنا الفلسطينية في كثير من الأدب الفلسطيني باعتبارها شخصًا مقاتلًا، يسعى للنجاة من الظروف القاسية، محافظًا على الذاكرة الثقافية والهوياتية في الوقت ذاته. يشير الأدب إلى أن "الأنا" الفلسطينية لا يمكن أن تنفصل عن الذاكرة الجمعية، فهي تشمل أيضًا التجربة الفلسطينية المشتركة من اللاجئين والشتات.

نرى أيضا في أعمال مثل *"أرض الله"* للكاتب الفلسطيني إبراهيم نصر الله كيف يتم التعبير عن الأنا الفلسطينية كهوية قائمة على التضحية والنضال المستمر تقدم الرواية تصورًا عميقًا لحياة الفلسطينيين في الداخل وفي الشتات، وتعكس كيف أن الأنا الفلسطينية لا تقتصر فقط على الوجود الشخصي بل تتداخل مع مصير الشعب الفلسطيني بأسره.

ب– مفهوم الآخر

يمثل الاخر كل ما هو خارجي بالنسبة للفرد أو الجماعة، وعادةً ما يُستخدم في الأدب والنقد الأدبي للدلالة على القوى أو الشخصيات التي تمثل التهديد للهوية الذاتية، إما في شكل

استعمار أو في شكل قوى معادية تحاول فرض نفسها على الأنا. (كنفاني، 1963، صفحة 34) في الأدب الفلسطيني، يشكل الآخر غالبًا الاحتلال الإسرائيلي، الذي يُنظر إليه ليس فقط كقوة استعمارية بل كتهديد وجودي للهوية الفلسطينية على المستوى الشخصي والجماعي.

5- الآخر الإسرائيلي في الأدب الفلسطيني

يتحدد الآخر الفلسطيني بالاحتلال العسكري أو الصراع على الأرض، بل يتعدى ذلك ايضا ليشمل محاولات الاحتلال الإسرائيلي للسيطرة على الذاكرة والتاريخ الفلسطيني. الآخر في الأدب الفلسطيني يظهر في صورة قوى محورية تسعى لإلغاء الهوية الفلسطينية أو إعادة تشكيلها بما يتناسب مع السردية الصهيونية. يتم تمثيل هذا الآخر في الأدب الفلسطيني عبر شخصيات تمثل التهديد المباشر، كجنود الاحتلال، وكذلك عبر أنظمة الاستعمار الثقافي التي تسعى إلى محو الثقافة الفلسطينية من خلال تغيير أسماء المدن والقرى. (التل، 2015، صفحة 98)

يُمثَّل الاحتلال الإسرائيلي كآخر غريب وقاسي يتسلط على الفلسطينيين، يغير حياتهم، ويوجد فجوة في علاقتهم بأرضهم ضمن رواية *"رجال في الشمس"* لغسان كنفاني. (نصر الله، 2017، صفحة 102) يصور كنفاني كيف أن الفلسطينيين في المنفى أو في الأرض المحتلة يعيشون في مواجهة الآخر الإسرائيلي، وهو الآخر الذي لا يعترف بحقهم في الوجود.

يُمثل الآخر أيضا في الأدب الفلسطيني ليس فقط في صورته العسكرية، بل كذلك في صورته الثقافية والسياسية، حيث يسعى الاحتلال الإسرائيلي إلى فرض روايته الخاصة التي تلغي أو تهمش التاريخ الفلسطيني. في هذا السياق، نجد أن الأدب الفلسطيني يتطرق إلى

الصراع الثقافي بين الأنا الفلسطينية والآخر الإسرائيلي في إطار الصراع على الرواية التاريخية، حيث يُقدَّم الاحتلال الإسرائيلي كقوة تحاول السيطرة على السردية الفلسطينية.

5-1 الآخر في الشتات: الفلسطيني بين الهويات المتعددة

يمثل الآخر في الأدب الفلسطيني الى جانب الاحتلال الاسرائيلي أيضًا القوى الخارجية التي تفرض هويات مختلفة على الفلسطينيين في الشتات الى جانب الاحتلال الاسرائيلي. ففي رواية *"الطريق إلى تل أبيب "* لإبراهيم نصر الله (2010)، يعبر عن صراع الفلسطينيين في الشتات الذين يجدون أنفسهم محاصرين بين الهويات المختلفة: الفلسطينية، العربية، والإسرائيلية. بينما يعيش الفلسطيني في الخارج، يصبح الآخر ليس فقط الاحتلال بل الجغرافيا الاجتماعية التي تفرض عليه تحديات جديدة تتعلق بالانتماء، الهوية، والتكيف. (داوود، 2019، صفحة 36)

يعكس الأدب الفلسطيني في الشتات مدى تأثير الآخر في تشكيل الهويات الفلسطينية المتعددة. ففي الرواية، يعاني الشخص الفلسطيني في المخيمات من الغربة والتمييز الثقافي والاجتماعي، مما يعكس كيف أن الآخر ينعكس في تشكيل الهويات الداخلية، ويؤثر على كيفية إدراك الفلسطيني لنفسه ولوجوده في عالم مفعم بالتوترات. (داوود، 2019، صفحة 55)

5-2 الآخر الثقافي والاقتصادي

يظهر الأخر في الادب الفلسطيني في صورته الاقتصادية والثقافية الى ججانب الاخر الاسرائيلي والجغرافي. فالفلسطينيون في الشتات يواجهون تحديات اقتصادية معقدة، حيث يتم تهميشهم من خلال أنظمة اقتصادية لا تأخذ في الاعتبار احتياجاتهم. في رواية *"خارج السياق "*للكاتب الفلسطيني أحمد داوود (2019)، يتضح كيف أن الفلسطينيين في الخارج

يعانون من التهميش الثقافي والاقتصادي الذي يفرضه الآخرون الذين يعيشون في بلدان الشتات. هذا الآخر هنا ليس فقط الاحتلال بل القوى الاقتصادية التي تجعل من الفلسطينيين في الشتات فئات مهمشة.

6- صورة الأنا

يتسم مفهوم "الانا" في الادب الفلسطيني بتنوعه وتتعدد اشكاله لا سيما في أعمال الأدباء المعاصرين، يتسم بتنوعه وتعدد أشكاله، وهو دائمًا في حالة تفاعل مع الآخر، سواء كان هذا الآخر الاحتلال الإسرائيلي، أو القوى الثقافية أو السياسية التي تساهم في تشكيل الهوية الفلسطينية. في هذا السياق، تتعدد صور الأنا بين الخضوع والتمرد، حيث تظهر الأنا الخاضعة كفرد أو جماعة تحت ضغوط خارجية تؤثر على وعيهم وهويتهم، بينما تمثل الأنا السلطة القوة التي تسعى إلى فرض وجودها وفرض إرادتها في مواجهة هذا الآخر.

أ- الأنا الخاضعة

تظهر الأنا الخاضعة في الأدب الفلسطيني على أنها تلك الأنا التي تتعامل مع الظروف القاهرة التي يمر بها الشعب الفلسطيني نتيجة للاحتلال والنكبات المتواصلة. إنها تمثل الفرد أو الجماعة التي تأثرت سلبًا بالممارسات الاستعمارية، بدءًا من الاحتلال البريطاني وصولاً إلى الاحتلال الإسرائيلي. هذه الأنا تكون في حالة من الضعف والعجز أمام القوى المتحكمة في الواقع الفلسطيني، سواء كان ذلك في الأرض المحتلة أو في الشتات.

- **تجليات الأنا الخاضعة في الأدب الفلسطيني**

تتجسد صورة الانا الخاضعة في رواية الرجال في الشمس لغسان كنفاني من خلال الشخصيات الفلسطينية التي تعيش في حالة من الاغتراب في عالم مليء بالتهديدات والخيبات. الشخصيات الرئيسية في الرواية تمثل الأنا التي تسعى للحرية، ولكنها محاصرة

بتحديات الاحتلال، ما يضعها في حالة من الخضوع والإحباط. الرواية توضح كيف أن الأنا الفلسطينية تكون في مواجهة مباشرة مع الآخر (الاحتلال)، ولا تستطيع التعبير عن نفسها بحرية، مما يؤدي إلى شعور مستمر بالعجز والتهميش. (قاسم، 2014، صفحة 123)

نجد في رواية *"الطريق إلى تل أبيب "* لإبراهيم نصر الله، أن الأنا الفلسطينية تبدو خاضعة للظروف القاسية التي يعيشها الفلسطينيون في المنفى. الرواية تسلط الضوء على حياة الفلسطينيين في الشتات وكيف أنهم يحاولون الحفاظ على هويتهم، في الوقت الذي يعانون فيه من شعور بالخضوع المستمر بسبب الضغوط السياسية والاجتماعية التي يواجهونها من العالم الخارجي. الأنا في هذه الرواية، كما في غيرها من الأعمال الأدبية، تظهر في حالة ضعف وتكمن المشكلة في عدم قدرتها على المقاومة بشكل فعال أمام واقع الشتات. (إبراهيم، 2013، صفحة 101)

تتجسد الأنا الخاضعة في سياق آخر في رواية *"سيرة مدينة "*لمحمود شقير، حيث يتم تصوير الشخصية الفلسطينية التي تتأرجح بين الأمل في المستقبل والحزن على الماضي. الرواية تعرض كيف أن الأنا الفلسطينية تكون في مواجهة مع محيطها العربي الداخلي، حيث تظهر السلطة السياسية والاجتماعية كعامل رئيسي في خضوع الشخصيات الفلسطينية لظروف حياتهم القاسية . (درويش، 2008، صفحة 74)

- **تحليل الأنا الخاضعة في سياقات سياسية واجتماعية**

تتحول صورة الأنا الخاضعة إلى تجسيد للواقع الفلسطيني في ظل الانقسام الداخلي بين الفصائل السياسية الفلسطينية. في هذا السياق، تظهر الأنا الفلسطينية في كثير من الأعمال الأدبية على أنها ضحية للصراعات السياسية. في رواية *"الاشتياق "*للكاتب الفلسطيني تيسير قاسم، تُصور الأنا الفلسطينية كفرد يحاول التكيف مع هذا الواقع السياسي المشتت، حيث يعبر عن نفسه من خلال معاناته اليومية والمشاعر السلبية التي ترافقه في ظل التحديات

المستمرة. وهذه الأنا تظل خاضعة لمعادلة سياسية ثقيلة تضعها في موقع الضعف. (المير، 2011، صفحة 150)

ب– الأنا السلطة

نجد صورة الأنا السلطة في مقابل الانا الخاضعة، متجسدة في الأفراد أو الجماعات التي تحاول فرض إرادتها ووجودها في مواجهة الآخر. في الأدب الفلسطيني، تُعتبر الأنا السلطة تمثيلًا للمقاومة الفلسطينية ضد الاحتلال الإسرائيلي وأشكال الهيمنة الثقافية والاجتماعية الأخرى. الأنا السلطة ليست مجرد أداة لفرض القوة، بل هي محاولات لإعادة بناء الهوية وتأكيد الذات الفلسطينية في مواجهة القهر والتشويه الذي تعرضت له.

- **تمثيل الأنا السلطة في الأدب الفلسطيني**

تعكس الأنا السلطة الأمل في العودة والتمسك بالأرض في رواية *"عائد إلى حيفا "*لغسان كنفاني. من خلال شخصية "سعيد" و"صفية"، تظهر الأنا الفلسطينية كسلطة تمارس مقاومتها رغم مرور الزمن والمحن. في هذه الرواية، يعبر الفلسطيني عن حقه في العودة إلى وطنه، ويؤكد على وجوده السياسي والثقافي في مواجهة الاحتلال الإسرائيلي. الأنا في هذه الحالة تمثل قوة الإرادة والتمرد على محاولات محو الهوية الفلسطينية. (المناصرة، الصراع على الأنا في الأدب العربي، 2003، صفحة 210)

نرى صورة الأنا السلطة تتجسد من خلال شخصية فلسطينية تحاول مقاومة الاحتلال الإسرائيلي وتؤكد على حقوق الفلسطينيين في العودة إلى أرضهم في رواية *"أرض الله "* لإبراهيم نصر الله،. الرواية تقدم صورة للأنا الفلسطينية التي لا تقبل الاستسلام وتكافح من أجل الحفاظ على حقوقها وهويتها، مما يجعل الأنا في هذه الحالة قادرة على تجاوز التحديات المفروضة من الاحتلال. (المسيري، 2000، صفحة 76)

- **الأنا السلطة في السياقات الاجتماعية والسياسية**

تتخذ الأنا السلطة أبعادًا أخرى، حيث تتجسد في محاولات الحفاظ على الهوية في المنافي. في رواية *"الفلسطيني"* لمحمد علي إبراهيم، تُصور الأنا الفلسطينية في الشتات كسلطة تسعى لتأكيد وجودها في المجتمعات التي تعيش فيها، سواء كانت في المخيمات أو في البلدان الغربية. الرواية تسلط الضوء على المقاومة الثقافية التي يبذلها الفلسطينيون ضد محاولات طمس هويتهم، وهو ما يساهم في تعزيز صورة الأنا السلطة في هذه الأعمال. (سويف، 2005، صفحة 45)

- **الهوية الفلسطينية كسلطة**

يتضح أن الأنا السلطة لا تقتصر فقط على المقاومة المسلحة أو السياسية، بل تشمل أيضًا الدفاع الثقافي عن الهوية الفلسطينية. في رواية *"الشتات الفلسطيني"* للكاتب محمود درويش، يظهر جليًا كيف أن الأنا الفلسطينية تصبح قوة ثقافية تحارب محاولات طمس الهوية من قبل الاحتلال. يتضح من خلال النصوص الأدبية الفلسطينية أن الأنا تكتسب قوتها من خلال الذاكرة التاريخية المشتركة والرغبة في الحفاظ على الثقافة والتراث. (ضاهر، 2010، صفحة 134)

تتخذ صورة الأنا في الأدب الفلسطيني أشكالًا متعددة بناءً على السياقات السياسية والاجتماعية التي يمر بها الشعب الفلسطيني. الأنا الخاضعة تظهر نتيجة للضغط النفسي والجسدي الناتج عن الاحتلال والشتات، بينما الأنا السلطة تمثل المقاومة ومحاولات الحفاظ على الهوية الفلسطينية رغم كل الظروف. الأدب الفلسطيني يعكس بوضوح هذا الصراع المستمر بين الأنا والآخر، مما يساهم في تشكيل هوية الفلسطينيين وذاكرتهم الجماعية.

7- في مفهوم الهوية

تتضمن الهوية مجموعة من السمات الثقافية، الاجتماعية، والسياسية التي تشكل شخصية الفرد أو الجماعة، وهو مفهوم يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالذات والأنا في مواجهة الآخر. في السياق الفلسطيني، فإن الهوية تمثل محاولة للمحافظة على الانتماء للأرض والذاكرة الجماعية على الرغم من التحديات العديدة التي واجهها الشعب الفلسطيني عبر التاريخ، بدءًا من الاحتلال البريطاني، مرورًا بالاحتلال الإسرائيلي، وصولًا إلى الشتات والمنافي.

7-1 تعريف الهوية في الأدب الفلسطيني

تتمثل الهوية شكل معقد في الادب الفلسطيني، حيث تكون في بعض الأحيان مرهونة بالمساحة الجغرافية الفلسطينية، وفي أحيان أخرى ترتبط بالجذور الثقافية والروحية للأفراد والجماعات. الهوية الفلسطينية هي هوية صراعية، تصمد في وجه التحديات المادية والنفسية التي فرضها الاحتلال والنكبات المتتالية. في هذا السياق، تعكس الروايات الفلسطينية صراع الفرد الفلسطيني مع ذاته وهويته في مواجهة الاحتلال ومحاولات المسح الثقافي والاجتماعي التي مارسها الاحتلال الإسرائيلي.

تُظهر الأدب الفلسطيني كيف أن الفلسطينيين حافظوا على هويتهم رغم محاولات الاحتلال طمسها من خلال العديد من الأعمال الأدبية، التي من خلالها يسعى الكتاب الفلسطينيون إلى تقديم صورة حية للهوية الفلسطينية، كما في رواية "*عائد إلى حيفا* "لغسان كنفاني، التي تعتبر واحدة من أبرز الأعمال التي تتناول الصراع الفلسطيني مع الهوية. ففي هذه الرواية، نجد أن الفلسطينيين في الشتات، رغم غربتهم، يواصلون التمسك بهويتهم الوطنية، ما ينعكس في محاولاتهم للعودة إلى أرضهم التي اغتصبها الاحتلال الإسرائيلي. من خلال هذه الرواية، نجد أن الهوية الفلسطينية تظهر كقيمة ثابتة تتمسك بها الشخصيات رغم مرور الزمن والظروف الصعبة. (كنفاني، 1963، صفحة 114)

7-2 الهويات المتعددة في سياق الهويات الفلسطينية

تُظهر بعض الأعمال الأدبية الفلسطينية من جهة أخرى، مثل *"أرض الله"* لإبراهيم نصر الله، كيف أن الهوية الفلسطينية تتعدد وتتعقد بفعل الشتات والتجارب المهاجرة. في الرواية، يواجه الفرد الفلسطيني تحديات في المحافظة على هويته وسط العديد من الهويات المتنوعة التي يتفاعل معها في المنافي. هذه الرواية تبرز الفجوة بين الهوية الأصلية للفلسطيني والتي تمثل الأرض والمكان، وبين الهوية التي يفرضها الشتات والعالم العربي، كما تتناول هذه الرواية هويات فلسطينية جديدة تنشأ بسبب العيش في بيئات مختلفة عن أرض الوطن.

تطرح الرواية الفلسطينية الحديثة *"الذاكرة الفلسطينية"* لمحمود درويش أسئلة عن الهوية الفلسطينية بين الواقع والذاكرة. يركز الكتاب في المقام الأول على كيفية بناء الهوية الفلسطينية في الداخل والخارج، ومدى تأثير النكبات والتهجير على هذه الهوية. يؤكد محمود درويش في هذه الرواية أن الهوية الفلسطينية هي عملية مستمرة، تتشكل وتتحول حسب الظروف المحيطة، لكنها لا تموت أو تزول، بل تظل حية في ذاكرة الشعب الفلسطيني. (درويش، 2008، صفحة 45)

7-3 الهوية الفلسطينية قبل وبعد النكبات

يشمل مفهوم الهوية الفلسطينية قبل وبعد النكبات التحولات التي طالت الشعب الفلسطيني، سواء من حيث الأرض أو من حيث التكوين الاجتماعي والسياسي. الهوية الفلسطينية قبل النكبة كانت تقتصر بشكل أساسي على الانتماء إلى الأرض والقرية، حيث كان الفلسطينيون يعيشون في مجتمعات صغيرة ترسخ فيها الهويات القروية والمحلية. بعد النكبة عام 1948، دخلت الهوية الفلسطينية في مرحلة من التحولات الكبرى، والتي كانت مصحوبة بالتهجير والشتات، مما جعل الهوية الفلسطينية تبدأ بالتشكل كهوية منفى، تتخذ من العودة إلى الأرض هدفًا رئيسيًا.

7-4 الهوية الفلسطينية قبل النكبة

تتسم الهوية الفلسطينية قبل النكبة بالترابط الاجتماعي والثقافي بين أبناء الشعب الفلسطيني، الذي كان يعيش في ظل الاحتلال البريطاني وتحت نظام قانوني اجتماعي عربي تقليدي. كانت الهوية الفلسطينية تتشكل بشكل رئيسي حول الانتماء إلى الأرض والعائلة، وكانت تُبنى على قاعدة من القيم الثقافية والاجتماعية المشتركة بين مختلف المناطق الفلسطينية. كانت فلسطين تتكون من العديد من المجتمعات التي تتمسك بثقافتها العربية والإسلامية بشكل كبير، بحيث كانت الهوية الوطنية الفلسطينية جزءًا لا يتجزأ من الهويات الدينية والثقافية.

نلاحظ تصوير الهوية الفلسطينية على أنها هوية متجذرة في الأرض والتاريخ في الأدب الفلسطيني قبل النكبة. في رواية *"زهراء "*ليوسف حنا، على سبيل المثال، نرى كيف أن الأنا الفلسطينية تتماهي مع الأرض والوطن، حيث تكون الذاكرة الجمعية للأفراد مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالمكان. زهراء تمثل الهوية الفلسطينية المترسخة في الأرض، تلك الهوية التي ستتعرض للتحدي لاحقًا مع التغيرات السياسية التي ستنتج عن النكبة عام 1948. (حنا، 1910، صفحة 34)

7-5 الهوية الفلسطينية بعد النكبة

تعرضت الهوية الفلسطينية بعد النكبة لتحديات غير مسبوقة. مع فقدان الأرض واندلاع عملية تهجير واسعة النطاق للفلسطينيين، بدأت الهوية الفلسطينية في التشكّل من جديد في السياق الدولي والعربي. أدب الشتات الفلسطيني الذي نشأ بعد النكبة، وخاصة في المخيمات والمنافي، أصبح يعكس بشكل كبير التحولات التي تعرضت لها الهوية الفلسطينية، حيث بدأ الفلسطينيون يُعرفون عبر تجارب اللجوء والحروب والهويات المتعددة التي نشأت بسبب

الشتات. هذه الهوية الفلسطينية الجديدة كانت تعبيرًا عن الحنين إلى الأرض وفي نفس الوقت مواجهة واقع الشتات الذي فرضه الاحتلال.

تعكس رواية *"الرجال في الشمس "*لغسان كنفاني على سبيل المثال الصراع الداخلي الذي يعيشه الفلسطيني بعد النكبة، وتطرح تساؤلات حول مفهوم الهوية في ظل الشتات واللجوء. الرواية تصور الفلسطينيين الذين يعبرون الحدود بحثًا عن لقمة العيش، وتكشف عن الانقسام بين الفلسطينيين الذين يعيشون في المنفى والآخرين الذين بقوا في الأراضي المحتلة. لكن هذه الرواية، مثل غيرها من الأعمال الفلسطينية، تُظهر أن الهوية الفلسطينية تبقى ثابتة رغم المحن، وهي مرهونة بالذاكرة الجمعية التي لا يمكن محوها.(كنفاني، 1963، صفحة 121)

7-6 الهوية الفلسطينية بعد 1967

شهدت الهوية الفلسطينية تحولًا إضافيًا بعد حرب 1967، حيث أصبحت القضية الفلسطينية قضية دولية وأصبح الفلسطينيون في الشتات يشكلون جزءًا من حركة مقاومة عالمية. في هذه الفترة، بدأت الهوية الفلسطينية تكتسب أبعادًا جديدة تتعلق بالعمل الوطني والتحرري. الأدب الفلسطيني بعد 1967، مثل *"أرض الله "*لإبراهيم نصر الله، يعكس هذه التحولات الكبرى التي طرأت على الهوية الفلسطينية في هذه المرحلة. الرواية تتناول كيفية تطوير الهوية الفلسطينية بعد هزيمة 1967، وتبرز التوترات بين الأجيال الجديدة والقديمة في كيفية فهم وتشكيل الهوية الفلسطينية. (نصر الله، 2017، صفحة 102)

تمثل الهوية الفلسطينية في الختام، مفهوماً معقداً ومتعدد الأبعاد في الأدب الفلسطيني. قبل النكبة، كانت الهوية الفلسطينية مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالأرض والتقاليد الاجتماعية، أما بعد النكبة، فقد مرّت الهوية الفلسطينية بعدة تحولات، حيث أصبح الشتات يمثل عنصرًا أساسيًا في تشكيل هذه الهوية. تواصل الرواية الفلسطينية العمل على إعادة تشكيل هذه الهوية في

مواجهة الآخر، سواء كان الاحتلال الإسرائيلي أو الظروف الصعبة التي يعيشها الشعب الفلسطيني في الشتات.

الفصل الثاني:

تجليات الأنا والآخر في رواية قناع بلون السماء لباسم الخندقجي

1- صراع الهوية

2- تجليات الذاكرة الجمعية في رواية «قناع بلون السماء»:

3- ثنائية الانتماء والانفصال

4- اللغة كرمز للانتماء الثقافي

5- الوظيفة الدرامية للقناع في كشف أو إخفاء الهوية

6- الأنا في مواجهة الآخر العدو في الرواية

7- الآخر: العدو الإسرائيلي وتجسيد الهويات المغايرة

8- صراع الهوية والتمزق الداخلي:

9- البعد النفسي

10- الصوت المقاوم: الضمير المقاوم بوصفه معنى للهوية

1- صراع الهوية

يبرز صراع الهوية في رواية «قناع بلون السماء» لباسم خندقجي كنقطة التقاء بين الذات المتشرذمة والظروف التاريخية القاسية التي يمرّ بها بطل الرواية "نور"، ويشكّل هذا الصراع المحور المحرّك للسرد ومصدر ديناميكيته المتجددة. يستخدم الكاتب تقنية الراوي المتعدّد ويفجّر مفاجأة العثور على بطاقة الهوية الزرقاء للإسرائيلي "أور" كعنصرٍ رمزيٍّ يُظهر ثنائية الانتماء والاغتراب لدى الشخصية المركزية، " ثم اخذ يتفقد جيوبه الاخرى كافة،و ما ان وضع يده في جيبه الداخلي الواقع قبالة القلب حتى التقطت اصابعه شيئا ما،فاخرجه بلهفة وفضول، فاذا هي بطاقة هوية صهيونية زرقاء اللون من غير سوء". (خندقجي، 2023، صفحة 44)

يتجلّى الصراع داخليّاً في لحظات الانكسار النفسي لدى "نور" واسترجاعه المتكرّر لذكريات المخيّم وجدران السجن التي تحتضن تجربة الأسير الفلسطيني،" السجن كثافة يا صديقي نور .. السجن كثافة .. عبارة اطلقها محمود درويش في فضاء زنزانته الاولى اثناء حنينه لقهوة امه وخبزها .. لم التقط اسرار العبارة الا عندما اشتد عودي في المعتقل" (خندقجي، 2023، صفحة 23)، يستند هذا المدخل إلى استكشاف العوامل النفسية والثقافية والاجتماعية التي تشكّل بناء الهوية وتفكيكها عبر نسيج الرواية، مع التركيز على الرموز اللونية للقناع ودلالاتها المتعددة.

تبدأ الرواية باسترجاع بطيء لذاكرة "نور مهدي الشهدي" داخل المخيّم الفلسطيني، حيث يتبدّى المخيّم كأرضٍ للاغتراب والتشظّي تفرضها جغرافيا المنفى والقمع. ينفجر الصراع داخل النص بمشهد اكتشاف البطاقة الزرقاء، فتتحول مفاهيم الأمن والانتماء إلى سؤالٍ جوهريٍّ حول الملكية الحقيقية للذات بين "نور" و"أور."

يلعب القناع، بحمْلِه لون السماء، دور الوسيط السردي الذي يقود السرد إلى ذروة الانقسام بين الوجه الظاهر والوجوه الداخلية الموصومة بالشكّ والضياع، " لم يولد نور مهدي الشهيد مرة وادة فقط بل اكثر من مرة في اطوار حياته الزقاقي" (خندقجي، 2023، صفحة 37)، يلجأ السرد إلى رمزية اللون والأقنعة كآليات لتشخيص الصراع بين الهويات المتنازعة، معتمداً على جمالية اللغة الاسترجاعية والصور الذهنية لتعميق تجربة الانقسام النفسي والوجودي لدى البطل.

1-1 نبش جذور الأنا

- **طفولة البطل وبدايات الانشطار**

تتجلى الطفولة كمسرح أوليّ لصراع الهوية في رواية "قناع بلون السماء" للكاتب الفلسطيني باسم خندقجي،، حيث تتفاعل عوامل البيئة، والسياسة، والتاريخ الشخصي في تشكيل الذات وتفكيكها. في هذا السياق، تبدو الطفولة لدى بطل الرواية "نور مهدي الشهدي" ليست مجرد مرحلة زمنية، بل وعاء وجوديّ يُشكِّل بنية الشخصية في عمقها النفسي والوجداني. هذا العمل يحاول تحليل مشاهد الطفولة المبكرة للبطل وتأثيرها العميق على مسار تشكّل الهوية، خاصة في ظل بيئة المخيم الفلسطيني وتجربة الاحتلال والاعتقال. (خندقجي، 2023، صفحة 14)

1-2 استحضار الذاكرة وبنية السرد الاسترجاعي

يعتمد خندقجي في سرده على تقنية الاسترجاع التي تُعيد القارئ مرارًا إلى بدايات "نور" في المخيم. ويقدّم تلك الفترات لا بوصفها مشاهد توثيقية، بل كبنية تأملية تتفاعل مع الحاضر المعتقل. (إريكسون، 2007، صفحة 237) وهنا، يصبح السرد نفسه أداة تحليل نفسي، يتنقل بين ماضي الصدمة وحاضر السجن، حيث لا تعني الطفولة البراءة، بل لحظة ولادة الشرخ في الهوية، " وقبل ان يجيب نور، وقعت الواقعة التي خططت لها قوة خاصة لجيش

الاحتلال الصهيوني، وعملت على تنفيذها بإتقان،اذ تنكر بعض افرادها بملابس نسائية، فانتزعت القوة مراد بسرعة البرق من حواره مع نور وازقة المخيم". (خندقجي، 2023، صفحة 21)

- **المخيم كرمز جغرافي ووجداني للتمزق**

يمثل مخيم رام الله أكثر من مجرد مكان للنشأة. فالمخيم، كما تصوره الرواية، هو بيئة خانقة مغلقة على ذاتها، تفصل الطفل عن الانتماء القومي الواضح، وتضعه في تماس دائم مع حالة "المنفى الداخلي"، واما في هذه المدينة الاسمنتية الكبيرة رام الله والبيرة او البيرة ورام الله، فهو لاجئ دون الاخذ بعين الاعتبار اذا ما كانت ملامح وجهه وطلته لا تبوحان بهذا . يكفيه اغترابه عن هذه المدينة وميادينها وشوارعها الاصطناعية المختلة والمحتلة، فقط في القدس" (خندقجي، 2023، صفحة 27)، يعيش "نور" الطفولة في مساكن مصنوعة من صفائح معدنية، وتحت ظلال البنادق والاقتحامات الليلية. يكتسب المكان طابعًا نفسيًا كئيبًا، إذ يصبح المخيم هوية مكثفة للقلق، للإنتماء القلق، وللفقد المبكر. (فرج الله، 2022، صفحة 112)

- **أثر الذاكرة الجمعية على تشكّل الهوية**

تظهر رواية «قناع بلون السماء» لباسم خندقجي كيف تتحوّل الذاكرة الجمعية إلى بنية محورية في تشكيل هوية الفرد ضمن السياق الفلسطيني؛ إذ تستند السردية إلى شبكة من الرموز والطقوس الجماعية التي تغذّي وعي البطل وتوجّه مسار انقسامات ذاته بين الضمير الشخصي والمتطلّبات التاريخية المشتركة، " ... إن الكولونيالية تفاصيل صغيرة، إنها هوس السيطرة والتفاصيل الصغيرة التي تشيد بالنهاية بنية شاملة متكاملة .. تفاصيل معرفية وتاريخية وثقافية ونفسية .. لهذا يجب ان نحاربها بالتفاصيل ذاتها" (خندقجي، 2023، صفحة 25)، يرتكز التحليل النظري على تصوّر موريس هالبواكس للذاكرة الجمعية باعتبارها

ذاكرة السرد الجماعيّ المنقول عبر الأجيال، فيما تضيف مقاربات دانيل وفنتريسوويكام بعداً لفهم آليات اشتغال هذه الذاكرة داخل الخطاب السردي. عبر متابعتنا للمشاهد الأولى في المخيّم ورحلة السجن وحتى لحظة الكشف عن "القناع الأزرق" لحاملة بطاقة الهوية الإسرائيلية، نرى كيف تحفر الذاكرة الجمعية في ذات "نور" خطوط تمزّق وتكوّن في آنٍ واحد. (موريس، 2014، صفحة 116)

تسلط الذاكرة الجمعية الضوء على طابعها التفاعلي والديناميكي فهي «شعور فرادي أو جماعيّ لذاتٍ تنبثق عن وعي مشترك لذوات متعددة داخل جماعةٍ واحدةٍ»،وعلى كونها نتاجًا لسياقات تاريخية وثقافية محددة. تضيف هذه الرؤية بُعدًا عاطفيًا للمفهوم، إذ تشير إلى تشكّل الذاكرة الجمعية في لحظات الحزن والفقد، أو في طقوس الفرح الجماعي، فتخلق مزيجًا من المشاعر يُبلور وعيًا مشتركًا تتكرّر ملامحه في الأجيال المتعاقبة. (ظافر، 2022، صفحة 88)

تُفصِل الذاكرة الجمعية نفسها عن الذاكرة الفردية عبر ضوابط تأليف الحكاية الجماعية. فعملية اختيار ما يُذكر وما يُنسى ليست بريئة، بل هي آلية سلطوية تُحدّدها موازين القوى، وتُشكّل نسقًا رمزيًا يتغلغل في الخطاب السردي. تخلق هذه العملية فجوة بين ما يعيشه الفرد وما يُروى على لسان الجماعة، ما يُنتج في كثير من الأحيان صراعًا داخليًا بين الانتماء وخصوصية التجربة الشخصية. (الصانع، 2023، الصفحات 45-62)

تتعمق المقاربة الإبستيمولوجية للذاكرة الجمعية في تصور مركز دراسات الوحدة العربية، حيث تؤكد أن الإطارات الاجتماعية والسياسية تُشكّل البيئة الحاضنة لكلّ تذكّرٍ جماعيّ. فالأفراد لا يتذكّرون تجاربهم بمعزل عن الجماعة، بل إن السياقات الجماعية تُعيد تفسير تلك التجارب وفق معايير تقرّها المؤسسة الاجتماعية، سواء كانت الأسرة، المجتمع، أو الدولة، "اليس مراد محقا اذن عندما اتهمه بانه كائن هروبي لا يقوى ولا يجرؤ على مواجهة واقعه

وتفاصيله؟" (خندقجي، 2023، صفحة 29)، وبالتالي تُصبح الذاكرة الجمعية أداة هيمنة رمزية بقدر ما هي مساحة للانتماء.

يمنحنا هذا الإطار النظري مفاتيح لفهم كيف تتغلغل الذاكرة الجمعية في تشكيل هوية الشخصيات السردية، وتحديدًا شخصية "نور" في «قناع بلون السماء»، حيث نجد أن تحولات الهوية ليست نابعة من الصراع الداخلي فحسب، " عندما كان يتنسم القدس كان اغترابه ينحل عنه شيئا فشيئا ليحلق في فضائها . ثمة علاقة عشق تجمعه بالقدس، اذ يسبح اسماءها قصائد واغاني وصلوات، كانت هي وحدها التي تعطف عليه وتخبئه في طياتها وبيوتها العتيقة في احلك الاوقات، واما رام الله فلم تكن كذلك، كانت العلاقة معها علاقة قيئ ولفظ وقذف متبادلين" (خندقجي، 2023، صفحة 27)، تصادمت سرديات الجمعية مع الذكريات الشخصية، في مجتمعٍ تتراكم فيه النكبات والشتات، وتُعيد الذاكرة صياغة الذات عبر صور متعدّدة.

2- تجليات الذاكرة الجمعية في رواية «قناع بلون السماء»:

ينتحل السرد في هذا النص صورة المخيّم كـ«مكان ذاكرة» تستحضر النكبة والانفصال الأول عن الأرض، فيختبر القارئ مخاض ذاكرة الجيل الثالث من اللجوء ضمن جدران رملية بسيطة. المخيم ليس مكانًا عابرًا بل حيزًا رمزيًا كثيفًا، تترسب فيه أصوات الأجداد وحكايات النزوح الأولى، ويغدو حاضنًا لذاكرة تُرسم عبر الروتين اليومي والمشاهد المتكررة: امرأة تخبز على الطابون، أطفال يلعبون في ظل خيمة، ومراسم دفن تشبه طقوس الولادة.

تتشكّل الذاكرة الجمعية أيضًا في الحنين إلى ما لم يُعاش، حيث يُقدّم السرد "نور" كشخصية وُلدت داخل الذاكرة لا خارجها؛ لم يشهد النكبة أو الاجتياح، لكنه يتذكّرهما كما لو أنه عاشهما، " اليس الاستشراق الذي هلكتني به هو من قضى على انفاس المجدلية في بلادنا، وجعلها ترنم وتبتهل وتصلي بالاتينية واليونانية والفرنسية القديمة ؟ (خندقجي، 2023،

صفحة 25)،، هذا النوع من «الذاكرة الوراثية» يعكس ديناميكية السرد الفلسطيني المعاصر، حيث يتوارث الأبناء ذاكرتهم، ليس فقط من خلال الكلام، بل أيضًا من خلال المكان واللغة والإيماءات.

تُبرز الرواية مشاهد ذات طابع شعائري: دفن الشهداء، احتفالات النكسة، جلسات العائلة عند المغيب، وغيرها من الطقوس التي تُعيد إنتاج الماضي كأنّه حاضر دائم. هذه الطقوس تُرسّخ مفهوم الانتماء، لكنها في الوقت نفسه، تُبرز هشاشة هذا الانتماء حين يتعرض لصدمات خارجية مثل اكتشاف القناع الأزرق. فبينما تعمّق الطقوس الوعي الجمعي، يكشف السرد عن لحظات ينهار فيها هذا الوعي أمام تساؤلات الفرد عن ذاته، " ما الذي فعله بنور حتى يدفعه الى البحث طيلة السنوات الخمس الماضية في سيرة المجدلية ؟ لماذا ينتزع كاتب اجنبي المجدلية من سياقها التاريخي الجغرافي الفلسطيني ليلقي بها في مهاوي الغرب ؟ لماذا؟. (خندقجي، 2023، صفحة 24)،

يتواصل البناء السردي عبر تقنية البطاقات الصوتية التي يُسجّلها "نور" على هاتفه، وهي وسيلة سردية تتيح للمؤلف بناء طبقات متعددة من الذاكرة. كل بطاقة تُسجّل لحظةً ما من حياة المخيّم: صراخ، أنين، ذكرى، أو حتى أغنية وطنية، " ذبحت قلبي ام عدلي هذا الصباح وهي تلفني بانفاس امومتها الطاهرة اثناء مرافقتي لها الى الحافلة، ذبحتني دون ان تعلم انها قدمتني قربانا لذاكرتي التي ما زالت تلتهمني حتى الآن" (خندقجي، 2023، صفحة 37)،، هذا التعدد الصوتي لا يُعيد فقط بناء المكان، بل يُجسّد كثافة التجربة الفلسطينية، حيث يندمج الخاص والعام، الفردي والجماعي، "يتوقف عن التسجيل بتافف واحباط وهو يقبض بكفيه على هاتفه متاملا فيه للحظات،ثم يشيح بوجهه نحو المراة الضخمة المعلقة قبالته على الحائط، يحدق بوجهه وملامحه كانه يكتشف ذاته للمرة الاولى، ثم يتهالك فوق السرير بعد ان جذبه الانهاك الى غفوة اجبارية". (خندقجي، 2023، صفحة 37)،

تتحقق ذروة السرد في هذه التجلّيات عند اكتشاف بطاقة الهوية الزرقاء، حيث ينكشف الصدع بين الذاكرة الجماعية وذاكرة "الآخر". لم يعد "نور" مجرد حامل لذاكرة المخيم، بل أصبح مشتبهاً في ذاكرته الخاصة. هنا يصبح القناع رمزاً للانقسام، والبطاقة وثيقة تُثبت شرعية الآخر وتُسائل شرعية الذات. هذه اللحظة تُجسّد اختراق الذاكرة الجمعية من داخلها، حيث يتلاشى الخط بين ما نملكه من ذاكرة وما يُفرض علينا من خارجها. (زكر، 2022، صفحة 89)

يُظهر النص أن الذاكرة الجمعية ليست مجرد خلفية سردية بل بنية فاعلة تؤثّر في مسارات الشخصيات واختياراتها. في كل زاوية من زوايا المخيم، وكل لحظة سردية مسجلة، تُضيء الرواية على كيفيّة إعادة بناء الماضي، وتحويله إلى سرد يُقاوم النسيان لكنه لا ينجو من التمزّق.

3- ثنائية الانتماء والانفصال

3-1 مشهد التحوّل بين الحنين والتمرد

يمثل مشهد التحوّل الذي يتوسّطه البطل "نور" في رواية "قناع بلون السماء" لا يُمثّل حدثًا عابرًا أو انعطافة درامية، " لم ينسحب نور الشهدي من امام هوية اور شابيرا بل واجهها .. بل ارتداها هذه المرة مدركا اصولها، فالادراك هو ما منحه الحصانة وعدم التحول الى كائن مكون من بشرة سوداء، وقناع ابيض بحسب راي صديق مراد (خندقجي، 2023، صفحة 63)، بل يتجلى كجوهر مكثّف للجدل الهوياتي الذي يعتمل في داخل كل فرد فلسطيني يعيش تمزقًا بين ذاكرة جماعية متجذّرة ومثقلة بالرموز والآلام والحنين، وبين وعي فرديّ ناشئ يسعى إلى التحرر من سطوة الماضي واستعادة صوته الخاصّ في فضاءٍ سياسيٍّ مقيَّدٍ ومضغوط،" سابوح لك الان بسري الذي لا اقوى على كتابته في بريدنا المهرب .. بلى .. ساعلمك بكل تناقضاتي وترهاتي . للاسم مناعة يا مراد وللقناع حصانة .. وانا عثرت على

قناع واسم لاتسلل من خلالهما الى اعماق العالم الكولونيالي .. اليس هذا ما يقوله صديقك فرانز فانون حول الجلود السوداء والاقنعة البيضاء؟" (خندقجي، 2023، صفحة 56)، فـ"نور"، وهو الاسم الذي يوحي بدايةً بالإشراق والانبعاث، يجد نفسه في منتصف سردية مركّبة لا تهدأ، حيث تتقاطع أطياف الطفولة ومرايا النفي والاقتلاع مع أصوات الصفارات ورائحة الخبز، وحيث يتحوّل المخيّم من حيز ماديّ إلى استعارة كونية للانتماء القلق. (منصور، 2021، الصفحات 34–40) إنّ هذا التحوّل لا يمكن عزله عن الإطار الفلسفي العميق لفكرة "البيت الضائع" في الرواية الفلسطينية، حيث يصبح المكان ليس مجرد موقعٍ جغرافيٍّ بل فضاءً رمزيًا يتصارع فيه المطمئنّ والقلق، الثابت والمتغيّر، الماضي والمستقبل، الكينونة واللايقين.

يُصبح مشهد التحوّل في هذا السياق بين الحنين والتمرّد لحظة وجودية فارقة، تكشف عن تصدّع داخليّ لا يسع البطل إلا أن يعاينه بمرآة الحيرة والاضطراب. الحنين، في ظاهره، يبدو دافئًا، كعناقٍ من الماضي، كصوت أمّ تنادي من شرفة الحيّ القديم، كخطى الجدّ العائد من صلاة الفجر، كطعم الزعتر في خبز الطابون، لكنه في عمقه ينقلب إلى وثاق، إلى قيدٍ ناعمٍ لا يُرى بالعين ولكنه يُخدّر الروح، يربط الفرد بجراحٍ لم يشارك في صناعتها لكنه يُطالَب بولائها، " امتلكت الجراة عن التخيل .. جراة الذي ليس لديه شيئ ليخسره في عالم الخسران والنكران هذا .. حتى ملابسي يا مراد، كنت اقتنيها من المتاجر والاسواق الصهيونية .. كنت ادخل الى المتجر لاراقب الاخر وهو يختار ملابسه لكي اقتني مثلها .. انها التفاصيل يا صديقي اليس كذلك ؟" (خندقجي، 2023، صفحة 56، 57)، لذا فإن "نور" لا يتمرّد على الحنين بصفته قيمة وجدانية، بل يتمرّد على طبيعته المُجمّدة التي تُستعمل كأداة خطابية لإعادة إنتاج وعي الخضوع والتسليم. استخدمت المفارقة الكبرى في هذا السياق أنّ الحنين، بوصفه أداة تماسك نفسيّ وهوياتيّ، يتحوّل إلى فخّ سرديّ حين يُصاغ بآليات أيديولوجية مُحكمة، فيتحوّل المخيّم من معطف روحي كما وصفه خندقجي،

إلى عباءة ثقيلة تُرغم "نور" على السجود لصنم الذاكرة. إنّ مخيم رام الله، في تمثله المكثّف في الرواية، لا يُعاد إنتاجه كحيّز مكانيّ، بل كمعمار نفسيّ رمزيّ تختلط فيه الأصوات والألوان والروائح، فيرتبط في ذهن البطل بأهازيج العودة ونداءات الكفاح، لكنّه أيضاً يبعث إحساسًا عميقًا بالحصار الذهني والانغلاق، " يعود ادراجه الى المخيم الى الازقة الى البيت البائس في اجواء صباح يابى الانزيا مصرا على البقاء مسرا لذاكرة تعربد عليه الان وفي الوقت الذي هو وحده من يقرر فيه اذا ما كانت طريق العودة ستأخذ من زمانه العبثي هذا عشر دقائق او اكثر" (خندقجي، 2023، صفحة 26)، هذه العلاقة المعقدة بين المخيم والانتماء تستدعي ما تُشير إليه أدبيات جامعة النجاح حين تقول إنّ «الأمكنة في المخيّم تُعيد رسم الخرائط المرنة لتاريخ الوجود الفلسطيني، فتمنح الفرد شعوراً بالأمان والانتماء»، لكنها في الآن ذاته قد تصبح أداة لضبط السلوك وصناعة خطاب جمعيّ لا يتيح للفرد أن يعيد اختراع ذاته بحرّية. (محمد، 2022، صفحة 58)

يمثل اللقاء الرمزيّ مع "أور" اليهوديّ وبطاقته الزرقاء بوابة تأويلية عميقة تؤشر إلى لحظة الانكشاف المزدوج: انكشاف الوجه الآخر للواقع المحتلّ، وانكشاف زيف الانتماء المُلقَّن. حين يتأمّل "نور" البطاقة الزرقاء، لا يرى فقط قيدًا قانونيًا بل يرى ذاته وقد تحوّلت إلى تابعٍ لذاكرة لا تمهله أن يسأل أو يعترض، " ما ان تفحص نور البطاقة حينذاك متمعنا بصورته الاشكنازية المقنة حتى احس باحساس غامض مؤلم شعر ان ثمة شيئا يقضمه فالقناع لم يعد بالملامح فحسب بل امتد ليسري في هويته ويمزجها بهوية اخرى متسائلا في سره حينذاك هل سارتكب حقا هذه الشخصية الصهيونية الاشكنازية" (خندقجي، 2023، صفحة 61)، هذا التحوّل، من الداخل، هو أقسى أنواع التمرد، لأنه لا يثور على الآخر فحسب، بل يثور على الأنا الجماعية، على الجذر، على اللغة الأولى، على الإيقاع المحفوظ للأغنية الشعبية التي كانت تغنيها الأم، وعلى الخيمة التي اختلط فيها الحزن بالأمل. (الغول، 2019، صفحة 112)

وبينما يكتب "نور" تسجيلاته الصوتية، فإنّ صوته لا يتجه إلى الآخر، بل يرتدّ عليه، يتورّط في ذاته كأنّه يُحاور شبحًا داخليًا يتمسك بالصور القديمة وهو يطلب النجاة من الغرق في بحر الهوية، " وفي مسعاه القناعي الاشكنازي هذا لم يتطاول نور بارتداء القناع واستخدام هويته المزورة الا نادرا اذا كان يستخدم الاسم فقط واما الهوية فكانت ملامحه ولغته العبرية" (خندقجي، 2023، صفحة 62)، الحنين هنا ليس مجرّد استعارة بل هو تجربة جسدية ونفسية وروحية، يُحسّ كحرقة في المعدة أو كغصة في الحنجرة أو كضيق في الصدر، وتتجلى لحظاته في الإحالات الصوتية التي تحضر في الرواية كعنصر من عناصر البناء الرمزيّ: صوت صفارة، صوت أمّ، صوت ناي، كلها تتراكم لتخلق إحساسًا بالكثافة العاطفية، ثم لا تلبث أن تنفجر في مشهد التمرّد الذي يعصف بسكون "نور". (سولي، 2020، صفحة 75) وتمامًا كما كتب الشاعر موسى حوامدة: «التمرد مهنتي، فلا قيود للروح التي تختار أن تحلق بلا جناحين»، فإنّ "نور" يختار، عن وعي، أن يحلّق لا بأجنحة الماضي، بل بشكّه وتمرّده.

يتحوّل التمرد إلى مشروع معرفيّ وأخلاقيّ يتطلّب من الذات أن تحرق جزءًا من ذاكرتها لكي تولد من جديد، أن تهدم الأساطير المؤسسة لكي تبني سرديتها الفردية التي لا تنكر الجماعة، لكنها لا تذوب فيها. ويُصبح التحوّل بين الحنين والتمرّد، كما تعبّر عنه الرواية، ليس نهاية للصراع، بل بدايته الحقيقية، حيث يتطلب من الفرد الفلسطيني أن يُعيد تعريف انتمائه لا عبر الشعار بل عبر الوعي، لا عبر الهوية المُعطاة بل الهوية المُكتسبة، المصاغة بألم وشكّ وتجربة. (محمد، 2022، صفحة 63)

يكشف "قناع بلون السماء" برسم انكسارات الهوية الفلسطينية، وأعاد رسمها كشظايا تتناثر لتُشكّل لوحةً جديدة، فيها تبرز ثنائية الحنين والتمرّد لا كنقيضين بل كطرفين لعملية نضج ذاتيّ. الحنين ليس ضعفًا والتمرّد ليس خيانة، بل كليهما شكلان من أشكال التمسك بالذات، أحدهما عبر استعادة الجذور، والآخر عبر التحرر من سطوة الجذور حين تتحول إلى قيود.

في النهاية، تكون اللحظة التي يهمس فيها "نور": «قلبي يشتاق إلى حضرة الأجداد، ولكن روحي تقبلُ أن تهرب من صنم الماضي إلى المجهول» إعلانًا فلسفيًا عميقًا بأنّ الهوية لا تُورث، بل تُبنى، لا تُملى، بل تُكتشف، في طريقٍ طويل بين خيمةٍ مشتعلة وسماءٍ مفتوحة لا لون لها إلا تمرّد الروح.

4- اللغة كرمز للانتماء الثقافي

ترى النظريات الثقافية والأنثروبولوجية أن اللغة ليست مجرد نسق من العلامات أو وسيلة للتفاهم، بل هي وعاء الوعي الجماعي، وجسر يربط الفرد بجماعته. وفي الأدب، تكتسب اللغة بعدًا رمزيًا مضاعفًا، إذ تُصبح اللسان الذي ينقل الحكاية وفي ذات الوقت يعيد تشكيل الواقع ويعيد إنتاج الوعي، " الى ان جاء اليوم الذي صرخ فيه نور بكل الاسماء التي تعلمها"(خندقجي، 2023، صفحة 63)، إنّ العلاقة بين اللغة والانتماء علاقة عضوية لا تنفصم، فاللغة ليست فقط وعاءً للثقافة، بل هي أيضًا صانع للهوية، خاصة في السياقات الكولونيالية حيث تُفرض لغات مهيمنة على شعوب مضطهدة. وقد نظر إدوارد سعيد وبنجامين وورف إلى اللغة من خلال أطروحة النسبية اللغوية على أنها ليست فقط وسيلة لتوصيل الأفكار بل أداة لتكوينها. (المجلة الثقافية الجزائرية، 2024)

تتضاعف أهمية اللغة بوصفها مقاومة رمزية ضد الطمس والإلغاء في السياق الفلسطيني، وهي بذلك تُصبح فضاءً للصراع بين الذات والآخر، بين الأصل والدخيل، بين الذاكرة والمحو. وتُعدّ رواية "قناع بلون السماء" لباسم خندقجي نموذجًا أدبيًا مكثفًا لهذا التوظيف الرمزي للغة في سياق الصراع السياسي والثقافي، إذ تتحول اللغة إلى أداة مقاومة وصراع، وإلى فضاء يُشكّل فيه البطل وعيه وانتماءه وهويته الثقافية.

4-1 اللغة العربية كلغة أم تقاوم المحو

برزت اللغة العربية في رواية "قناع بلون السماء"، ليس فقط كأداة سردية بل وجدار أخير يحتمي به الفلسطيني من طوفان المحو الثقافي. هي لغة الأم، لغة الجدة والأهازيج والصلوات، اللغة التي ترتبط برائحة الأرض وعبق الخبز وصوت الأذان، " كانت العربية لغة قلبه" (خندقجي، 2023، صفحة 41)، وفي هذا السياق، لا تمثل العربية وسيلة تواصل فحسب، بل تُجسّد العمق الرمزي للهوية الفلسطينية.

يكتب نور بطل الرواية بالعربية لا لأنه لا يعرف غيرها، بل لأنه يجد فيها ذاكرته وحقيقته، يجد فيها انتماءه الذي لا يستطيع أحد مصادرته. في أحد مقاطع الرواية، يقول: «أكتب بالعربية لأنني عندما أكتب بها، أسمع صوت جدتي، وأشمّ خبزها، وأتذكر صلاة أمي وأهازيج الحصاد». هذا التوصيف يؤكد أن اللغة هنا ليست نظام علامات بل هي صوت الجذور، هي تجلٍّ للثقافة والهوية. (إدوارد، 1993، صفحة 115)

تقف اللغة العربية في الرواية كمرآة للذات الجمعية الفلسطينية، فهي تربط الماضي بالحاضر، وهي التي تمنح البطل يقينه في مواجهة الارتياب، وتمنحه الثبات في عالم متقلب. إنها، كما وصفها عبد الفتاح كيليطو، لغة «أملك مفاتيحها الثقافية»، أي أن الكاتب حين يكتب بها، إنما يستدعي كل المخزون الرمزي والتاريخي والحضاري الذي تشكّل معه وبه. (كيليطو، 1992، صفحة 61)

4-2 اللغة العبرية كقناع ثقافي وسردي:

تظهر اللغة العبرية مقابل اللغة العربية، في الرواية بوصفها قناعًا مفروضًا، واجهة زائفة لانتماء زائف. هي اللغة التي يُجبر عليها نور، ويتحدث بها في العلن لأسباب أمنية، لكنها لا تمثّله ولا تُعبّر عنه. البطاقة الزرقاء، الاسم العبري "أور"، اللهجة المصطنعة... كلها

مؤشرات على هذا الانتماء المفروض الذي لا ينبع من الداخل بل يُفرض من الخارج، " هي اللغة الخائية كما وصفها لمراد ذات رسالة وانما لكي يحمي نفسه ممن يتفوهونها كاسيا ملامحه بهما ربما ملامحه الاشكنازية صارت العبرية "غنيمة حرب" تحصل عليها".(خندقجي، 2023، صفحة 41)

اللغة العبرية في الرواية لا تُمثل فقط الآخر الإسرائيلي، بل هي انعكاس لبنية سلطوية تُريد السيطرة على وعي الفلسطيني وسرده وهويته، " ... العبرية لغة ظله وملامحه الاشكنازية فاصبحت الملامح قناعا يرتديه عندما كان يبيع طاقة عمله في الاسواق والميادين الصهيونية" (خندقجي، 2023، صفحة 41)، نور حين يتحدث بالعبرية يشعر بالتناقض الداخلي، بالانفصال عن ذاته. كل مرة يتحدث فيها بتلك اللغة يشعر وكأنه يخون شيئًا ما بداخله، وكأنه يبتعد عن ذاته، عن جذوره. (إدوارد، 1993، صفحة 121)

وهذا ما يعيدنا إلى أطروحة فرانز فانون في كتابه "بشرة سوداء، أقنعة بيضاء"، حين ربط بين اللغة والاستعمار، مشيرًا إلى أن اللغة المستعمِر حين تُفرض على المُستعمَر تُصبح أداة لاستلابه مرتين: مرة حين يفقد لغته، ومرة حين يتكلم بلغة لا تمثّله. اللغة العبرية في الرواية ليست فقط قناعًا بل كمينًا، تمنح نور حرية ظاهرية، لكنها تحاصره بالريبة والرقابة. (إشتية، 2024)

4-3 المشهد اللغوي المزدوج كرمز للتصدّع الداخلي

تحفل الرواية بمشاهد تُظهر الانشطار الداخلي الذي يعانيه نور بين لغتين، بين صوتين، بين انتماءين. اللغة العربية، التي تمثل الذاكرة والروح، مقابل اللغة العبرية التي تمثل القمع والانتحال. هذا التمزق لا يُعرض كحالة لغوية فقط، بل يتجلى كسيرورة نفسية وثقافية عميقة تُظهر حجم الشرخ الداخلي الذي يعانيه الإنسان الفلسطيني في ظل واقع الاحتلال.

يتحدث نور بالعبرية، لكنه يفكّر بالعربية،" الكنية بحاجة الى لغة واللغة هي العبرية التي بدا يتلقفها عبر بضع كلمات وتساؤلات واستفسارات كان يلاحق بها زملاءه في العمل ممن اتقنوا العبرية . كلمات معدودة في البداية" (خندقجي، 2023، صفحة 40)، يتحدث بأوامر الآخر لكنه يستدعي في ذاكرته الطفولة في المخيم، صوت القصيدة الأولى، وأهازيج الأم. يقول في لحظة تأمل: «كنت أتحدث إليهم بلغتهم، لكنني كنت أستعيد في ذهني صورة حرف الضاد...». هذا التوتر الدائم يكشف عن عمق الهوة بين اللغة كوسيلة مفروضة، وبين اللغة كجذر وانتماء.

تظهراللغة من خلال هذا التمثيل المزدوج، كأرض معركة داخلية، كفضاء تتصارع فيه هويات متناقضة. والمشهد اللغوي في "قناع بلون السماء" يعكس هذا الصراع بأبعاده كافة: النفسية، السياسية، الثقافية.

4-4 اللغة وسؤال الهوية: من التمثيل إلى التأصيل

تُعيد الرواية طرح سؤال الهوية الفلسطينية في ظل محاولات الطمس والتشويه الثقافي في مستوى اعمق من التحليل اذ تعتبر اللغة، بوصفها الحامل الرمزي لهذه الهوية، تُصبح الأداة التي يعيد بها نور تشكيل ذاته واسترجاع انتمائه. الاحتلال لا يسعى فقط إلى احتلال الأرض، بل إلى احتلال الوعي، واللغة هي الساحة التي يخاض فيها هذا الصراع، " كما قال كاتب ياسين واصفا اللغة الفرنسية ابان الاستعمار الفرنسي للجزائر غير ان هذا الفرق ما بين كاتب ياسين ونور الشهدي هو ان هذا الاخير لم يتعلم من الشوارع العبرية". (خندقجي، 2023، صفحة 41)

في أحد مشاهد الرواية، حين يستعيد نور طفولته في مخيم رام الله، لا يستعيدها عبر الصور بل عبر الأصوات: صوت الأذان، حكايات الجدة، قصائد درويش... كلها وحدات لغوية تُعيد

بناء الهوية. إنّ اللغة هنا لا تُستخدم بوصفها أداة وصفية، بل بوصفها وسيلة تأصيل، تعيد للفلسطيني وعيه ومكانه ورؤيته لذاته. (الحايك، 2024)

وهذا ما يتقاطع مع رؤية إدوارد سعيد حين اعتبر أن "اللغة هي أول أسلحة الوعي وآخر قلاع الهوية"، أي أن اللغة حين تُصادر، يُصادر معها كل شيء. لكن حين تُستعاد، تُستعاد الهوية ذاتها.

4-5 لغة الكتابة: شعرية المقاومة

من أبرز ما يميز رواية "قناع بلون السماء"، " واما السور فهو طوق يحرسها هي امراة هي المراة التي خلقت من دماء وسماء واسراء ومعراج وانبياء وملائكة وشياطين وملاعين وحروب وحصارات واهوال وبركات ولعنات هي امراة حوصرت على مدار اقدارها المتعددة باكثر من ثلاثين حصارا" (خندقجي، 2023، صفحة 84)، عن غيرها هو أسلوبها الشعري في السرد، " باسم خندقجي لا يكتب بلغة تقريرية أو مباشرة، بل يختار لغة مشحونة بالإيحاء، مفعمة بالمجاز، متّسقة مع رؤيته للمقاومة، " شعرت ان هذه الهوية ذات غواية تدفعني نحو الاتحاد بها وعدم التنازل عنها كنت اشعر بتشبثها بي .. بشعري الطويل المجعد وعيني الزرقاوين ولغتي العبرية ذات اللكنة الاشكنازية التي تلدغ حرف الراء بتميزها وتقلب الحاء خاء والعين همزة .. لاذهل بالنهاية من اهمية الملامح والوجوه في الميادين والطرقات الصهيونية" (خندقجي، 2023، صفحة 70)، اللغة في الرواية ليست أداة لنقل الواقع فحسب، بل وسيلة لتحويل الألم إلى نص، وتحويل الجرح إلى قصيدة.

ففي وصفه للسجن، لا يستخدم خندقجي لغة جافة بل لغة تفيض بالشعرية: الجدران تتنفس، القيود تصرخ، الزنازين تتلو صلوات. هذا الاختيار الجمالي يُحيل اللغة إلى فضاء رمزي يعيد تعريف المعاناة ويمنحها طابعًا كونيًا يتجاوز المحلية. (العجيلي، 2024)

اللغة العربية التي يكتب بها خندقجي هي في ذاتها فعل مقاومة، خاصة أنه يكتبها من خلف القضبان. الكتابة بالعربية هنا ليست فقط إعلان ولاء ثقافي بل تأكيد على أن اللغة هي السلاح الذي لا يُكسر، وهي القلعة التي لا تسقط.

تُجسد رواية "قناع بلون السماء" في النهاية تصورًا فلسفيًا عميقًا للغة بوصفها فضاءً للانتماء والمقاومة، ومرآة للهوية الفردية والجماعية. اللغة، في الرواية، ليست فقط وسيلة تعبير بل هي معركة وجود. إنها الملاذ حين يضيع الوطن، والمنفى حين تُصادر الذاكرة.

بين العبرية المفروضة والعربية الأصل، بين القناع والوجه، بين الاسم الحقيقي والاسم المزور، تتشكل رحلة نور نحو الوعي، نحو التمسك بلغة لا تخون، بل تحفظ. وهكذا، تنتهي الرواية عند تأكيد مركزي: من يملك لغته يملك ذاته، ومن يكتب بلغته يقاوم، حتى لو كان خلف ألف جدار وألف سجن. (رسول، 2024)

5- الوظيفة الدرامية للقناع في كشف أو إخفاء الهوية

5-1 تطور القناع كأداة إبداعية

يمثل القناع في الدراما ليس مجرد أداة تجميلية أو مجرد غطاء للوجه، بل هو أداة ذات دلالات عميقة تتراوح بين التمويه والكشف، ويعدّ جزءًا أساسيًا في الأداء الدرامي والمسرحي. في العصور اليونانية القديمة، كان القناع يشكل عنصراً حيوياً في المسرحيات، حيث كان يهدف إلى تكبير الملامح لتسهيل قراءتها من الجمهور، وهو ما كان يسهم في تعزيز تأثير المشهد الدرامي. (سعد، 2001، صفحة 115) كانت أقنعة المسرح اليوناني ضخمة إلى درجة تجعل تعبيرات الوجه واضحة، ما يسمح للجمهور بقراءة الانفعالات بشكل أكثر دقة، وهذا كان له تأثير كبير في إضفاء الواقعية على المسرحية دون الحاجة إلى التعبيرات اللفظية الكثيرة، "رافقتني كظلي الى ان شعرت مرة واحدة بسببك انت بأنني بعت ظلي الحقيقي لهوية مزورة فغدوت بلا ظل" (خندقجي، 2023، صفحة 70)

بقي القناع جزءاً مهماً من الأداء المسرحي بحلول العصور الوسطى، وعلى الرغم من انتقال المسرح إلى أشكال أكثر تجريدية، لكنه أصبح يهدف إلى تجسيد شخصيات خيالية، وكشف رمزية المجتمع وتقسيماته الاجتماعية. كان القناع في تلك الفترة يُستخدم لتمثيل الأدوار المتعددة التي تتراوح بين الملك والفقير، وبين القوى الخير والشر، ما يعكس الصراع الداخلي للبشر في المجتمع الذي تنتمي إليه الشخصيات.

تحول القناع إلى وسيلة لاستكشاف الطبقات النفسية الداخلية للشخصيات ومع تطور الممارسة الدرامية في القرنين التاسع عشر والعشرين. ففي الأعمال المسرحية الحديثة، يُعتبر القناع أداة تعبير عن تعدد الوجوه البشرية،" فملامحي اصيلة كملامح العديد من ابناء شعبي المحتل" (خندقجي، 2023، صفحة 70)، حيث يمكن أن يمثل القناع ظاهرياً شخصية واحدة، بينما وراءه تختبئ شخصية أخرى، مما يفتح الباب لاستكشاف الازدواجية النفسية أو الشخصيات المتناقضة. (حمادة، 1985، صفحة 47)

5-2 القناع بين التقليد والحداثة

أصبح القناع في مسرح بيراندیلو يمثل أكثر من مجرد أداة تمويه؛ بل أصبح رمزًا للتشتت الذاتي. يرى بيراندیلو أن الشخصية الدرامية الحديثة لا تتمتع بوجه ثابت، بل تحتوي على وجوه متعددة تتناوب على الظهور، ويُعبِّر القناع هنا عن هذه التعددية في الشخصيات. في مسرحياته، مثل "ست شخصيات في بحث عن مؤلف"، نرى كيف أن القناع يصبح أداة لتشكيل الواقع المتعدد الذي يُخفي فيه الشخص هويته الحقيقة. (سعد، 1995، صفحة 55)

تطور مفهوم القناع في المسرح أيضًا في منتصف القرن العشرين، حيث بدأ المسرحيون مثل روبرت بينديتي وفريد هاروب بتطوير فكرة القناع كأداة للتحول الجسدي والمعنوي للممثل. كان القناع بالنسبة لهم ليس مجرد غطاء، بل أداة للتحول الكامل التي تسمح للممثل بأن يصبح جزءًا من الشخصية التي يمثلها. بالنسبة لبيراندیلو، فإن الشخصية تضع القناع

لتخفي خلفه شخصيات متعددة، أما في المسرح المعاصر، أصبح القناع يرمز إلى فقدان الذات، حيث يمكن أن يتخذ القناع أشكالًا متعددة تكون بمثابة رد فعل على التغيرات الاجتماعية والسياسية. تتشكل الهوية على المسرح المعاصر من خلال تعبيرات أكثر تعقيدًا، حيث يصبح القناع وسيلة لتأكيد الانقسامات الداخلية، بل أداة لتكريس الهويات المتعددة.

5-3 القناع كأداة لإخفاء الهوية

يُستخدم القناع لإخفاء هوية الفرد الحقيقية في كثير من الأحيان، سواء كان ذلك في سياق احتفالي، أو في سياق أعمال مسرحية تتناول قضايا اجتماعية أو سياسية، " ينتزع من داخلها صندوقا خشبيا صغيرا يفتحه يخرج من احشائه بطاقة هوية زرقاء اللون وقلادة ذهبية لنجمة داوود" (خندقجي، 2023، صفحة 79)، القناع في هذه الحالة لا يُخفي الملامح فقط، بل يُخفي المعنى والهوية الثقافية، مما يجعل المتلقي أمام لغز يتطلب حلًا. في الدراما السياسية، يتيح القناع للممثل أو الشخصية إخفاء هويتها الحقيقية، سواء كانت هذه الهوية مرتبطة بمعتقدات دينية أو قومية أو حتى جنسانية. (أبو الحسن، 2016، صفحة 84)

القناع يُستخدم في الثقافات القديمة كوسيلة الاحتفالات الدينية والطقوسية كأداة لإخفاء هوية الفرد أو حتى لتحويله إلى كائن آخر بعيد عن ذاته العادية. في هذه الحالة، يُعتبر القناع وسيلة للحماية من قوى خارقة أو تهديدات اجتماعية. في العديد من المجتمعات، يُستخدم القناع لتعزيز الشعور بالانتماء إلى مجموعة اجتماعية محددة، حيث يُخفي القناع هويات الأفراد ويُظهر فقط السمات التي تتوافق مع المجتمع أو الطائفة. في بعض التقاليد، يُعتبر القناع رمزًا للقدرة على التحول أو الشفاء.

أصبح القناع أداة لتمويه شخصية الحاكم أو السلطة في المسرح المعاصر، ما يمنح المتلقي فرصة لتفسير الشخصيات على مستوى أعمق من مجرد شكل خارجي. في هذا السياق، يمكن أن يكون القناع أداة للإخفاء ليس فقط لأغراض جمالية، بل أيضًا كطريقة لتحليل

كيفية إدراك السلطة والتسلط. في الأعمال المسرحية السياسية، مثل مسرحيات "الشخصية المغلفة" أو "الهوية المفقودة"، يتم استخدام القناع بشكل مستمر للإشارة إلى القوى الخفية التي تؤثر على الجمهور بشكل غير مرئي. (صليحة، 1997، صفحة 73)

5-4 القناع كأداة لكشف الهوية

يرمز القناع عادة إلى التمويه والإخفاء، فإنه يمكن أن يعمل أيضًا كأداة لكشف بعض أبعاد الشخصية التي قد تكون مخفية في ظل القشرة الخارجية. عندما يرتدي الشخص القناع، يمكن أن يُظهر نزعات خفية من شخصيته كانت مخفية في البداية، " لا ..لا لاقنعة في رام الله .. رام الله هي القناع" (خندقجي، 2023، صفحة 73)، القناع في هذه الحالة يُتيح للشخصية فرصة للتعبير عن جوانب من الذات التي لم تكن ممكنة بدون هذا التغطية الظاهرة.

في مسرحيات مثل "Maus" (من تأليف أرت سبينغلر)، يصبح القناع أداة لكشف التوتر بين الهويات الإنسانية والحيوانية، حيث يُستخدم القناع للإشارة إلى أن القيم الإنسانية يمكن أن تتدنى إلى مستويات حيوانية، بينما يكشف أيضًا عن هويات متناقضة بين الأجيال والشخصيات. (مكاوي، 1984، صفحة 14)

يُستخدم القناع كطريقة للكشف عن وجود طبقات داخلية لشخصية كان يصعب على الجمهور التعرف عليها في البداية في بعض النصوص الدرامية. يفتح القناع المجال لتأويلات متعددة ويعزز الفهم المتعدد للهوية والشخصية، " كيف انقلبت اقدراه واحواله التي ادت به الى الاغتراب التام عن واقعه الزقاقي ورحيله عن تشوهه الاول ليرتدي قناعا اعده من ملامحه التي غدت ملامح الاخر هناك في القدس وتل ابيب هل كان نور هو نور ام كان اخره كان اور" (خندقجي، 2023، صفحة 73) ؟، في هذا السياق، يُعتبر القناع أيضًا

أداة للكشف عن القوى اللاواعية التي تؤثر على الشخصية، مثل الصراعات الداخلية أو الرغبات المكبوتة.

6- الأنا في مواجهة الآخر العدو في الرواية

تُعدُّ رواية "قناع بلون السماء" للروائي الفلسطيني باسم الخندقجي واحدة من الأعمال الأدبية الهامة التي تساهم في رسم صورة حية لمعاناة الشعب الفلسطيني تحت وطأة الاحتلال الإسرائيلي. تعتمد الرواية على أسلوب سردي عميق، يعكس تجربة شخصية مستمدة من معاناة الجماعة الفلسطينية في مواجهة تحديات الاحتلال. بعيدًا عن كونها مجرد سرد سياسي للأحداث أو مجرد توثيق للواقع المأساوي للفلسطينيين، تقدم الرواية دراسة نفسية اجتماعية تنبش في أعماق الذات البشرية التي تعيش تحت الظلم والعنف النفسي، " من الذي فعل بك هذا ؟ انا، لماذا ؟ لانني ولد ولست بنت .. لست نورا، من يقول انك نورا ؟ الاولاد في المدرسة" (خندقجي، 2023، صفحة 74)، الرواية تتحدث عن الصراع الوجودي للفلسطيني، وعن محاولاته المستمرة للحفاظ على هويته وتقديم نفسه ككائن فاعل رغم المحاولات المتكررة من الآخر (الإسرائيلي) لتقويض هذا الوجود.

تقتصر "قناع بلون السماء" على معالجة الصراع الجغرافي والسياسي بين الفلسطينيين والإسرائيليين فقط، بل تتغلغل في الطبقات الأعمق للصراع النفسي والوجداني، وذلك من خلال التركيز على تفاعلات الأفراد في سياقاتهم الاجتماعية والوجدانية، بعيدًا عن التناول السياسي المباشر. (الجابري، 1995، صفحة 112) يتجسد هذا الصراع في شخصية البطل التي تعتبر نواة الرواية، إذ أن القارئ لا يواجه فقط توترًا سياسيًا بين دولتين أو شعبيين، بل يلتقي بصراع داخلي بين الإنسان وواقعه، وبينه وبين ذاته. تأتي الرواية لتوضح حجم الضغوط النفسية التي يمر بها الفلسطيني في محاولاته للتكيّف مع الاحتلال، والذي لا يقتصر فقط على السيطرة الجغرافية، بل يتجاوزها إلى محاولة تدمير الهوية الثقافية والنفسية.

تستعرض الرواية حالة الفلسطيني في ظل الاحتلال من خلال شخصية الأنا الفلسطينية التي تواجه العدو الإسرائيلي على جميع الأصعدة، " نور يسعى نحو التحرر " ص 76، لا تقتصر الرواية على إظهار عواقب الاحتلال المادية فحسب، بل تتجاوز ذلك لتلقي الضوء على تأثيراته النفسية التي تسببت في حالة من الاغتراب والفراغ الداخلي لشخصيات الرواية. يصبح الوجود الفلسطيني في أرضه سؤالًا وجوديًا مستمرًا، مليئًا بالمخاوف والقلق. هذا الصراع النفسي بين الأنا الفلسطينية والآخر الإسرائيلي ينعكس في تفاصيل يومية من الحياة الفلسطينية التي تسردها الرواية بشكل مؤلم وواقعي. (الغذامي، 2006، صفحة 85)

تمثل الرواية أكثر من مجرد صراع بين فلسطينيين وإسرائيليين، بل هي في جوهرها بحث عميق في النفس البشرية التي تكافح من أجل الاستمرار في مواجهة محاولات النفي المستمر، " .. ان لي ان اشتبك ان لي ان استرد ذاتي .. سارتدي قناع اور شابيرا للمرة الاخيرة ستكون هذه الرقصة الاخيرة رقصتي الاخيرة يا مراد .. اقسم بروح امي" (خندقجي، 2023، صفحة 78)، من خلال هذه الرواية، يعرض الخندقجي الصراع بين الهوية الفلسطينية التي تسعى للحفاظ على ذاتها في وجه قوة الاحتلال، وبين "الآخر" الذي لا يعترف بحق الفلسطيني في الوجود أو الحياة، ويعمل على محو هذا الوجود بشكل متواصل.

6-1 الأنا/ الهوية الفلسطينية في مواجهة العدو

تجسد رواية "قناع بلون السماء" صورة الأنا الفلسطينية بشكل معقد وواقعي، حيث تُظهر هذه الأنا في مواجهة مستمرة مع الآخر الإسرائيلي، العدو الذي يحاول محو الهوية الفلسطينية بكل ما تحمله من معانٍ ثقافية واجتماعية ونفسية، " هذا ما اكده اثناء توغله في هوية اور شابيرا، اذ كان على وشك الوقوع نحو اعماق هاوية التباس لاقرار لها ... ليتنفس اصله اللاجئ والمشرد والمشوه والمنكوب" (خندقجي، 2023، صفحة 63)، إن البطل في الرواية يمثل النموذج الذي يحاول الحفاظ على هذه الهوية رغم قسوة الظروف، إذ يعيش في حالة

من الصراع الداخلي المستمر حول كيفية الحفاظ على الذات في وجه محاولات الاحتلال الإسرائيلي لإلغاء هذه الهوية. (حرب، 2012، صفحة 101)

الهويات في الرواية، لا سيما الهوية الفلسطينية، ليست ثابتة أو واحدة، بل هي متحركة ومتغيرة بشكل مستمر، حيث أن هذه الهوية تتأرجح بين التمسك بالمقاومة وبين القبول بحالة الواقع المُر الذي يفرضه الاحتلال، " ينهي تسجيل البطاقة بجولته الالكترونية المعتادة مبتدئا باخر الاخبار التي استقاها من مواقع متعددة باللغات العربية والعبرية والانجليزية التي اتفقت جميعها على خبرا واحد يفيد يتزايد حدة التصعيد والتوتر في القدس لاسيما في باب العمود وحي الشيخ جراح" (خندقجي، 2023، صفحة 57)، هذه الهوية تتشكل بناءً على تحديات الاحتلال وتفاعلات البطل مع هذه التحديات. الشخصية الفلسطينية في الرواية لا تمثل فقط فردًا، بل هي صورة عن حالة شعب كامل يُجبر على العيش في واقع مأساوي يجمع بين الألم والرفض والنضال. (سعيد، 1995، صفحة 45)

تتأرجح الهوية الفلسطينية في الرواية بين رفض واقع الاحتلال والمصالحة مع هذا الواقع في بعض الأحيان، فالشخصيات الفلسطينية غالبًا ما تكون في حالة من التوتر النفسي بين ما يريدون تحقيقه وبين ما يُفرض عليهم، " يزفر بحرارة وهو يتابع قمع قوات الشرطة وحرس الحدود الصهيونية لاهالي الحي والمتظاهرين من المتضامنين مع قضيتهم ثم ينسحب من الاخبار ليتجول جولاته الاحب الى قلبه وهي مواقع الجمعيات والمعاهد الاثرية والتاريخية" (خندقجي، 2023، صفحة 57)، إن التذبذب بين هذه الأبعاد يشكل المحور الأساسي للنضال الداخلي للبطل، حيث يتساءل عن ماهية الهوية الفلسطينية في ظل فقدان الكثير من ملامح هذه الهوية نتيجة للممارسات الإسرائيلية المستمرة. هذه الصراعات تؤثر في الشخصية الفلسطينية على مستوى الذاكرة والوجود، حيث أن هويته لا تقتصر على مجرد انتمائه إلى وطنه، بل تمتد لتشمل الثقافة والتاريخ والذاكرة المشتركة لشعب بأكمله.

تُظهر الرواية كيف أن الفلسطينيين يسعون جاهدين للحفاظ على هذا الارتباط العميق بالأرض والتاريخ، رغم محاولات الإسرائيليين لتحريف هذا التاريخ. هوية الفلسطيني في الرواية تُظهر أنه لا يمكن فصل الإنسان عن الأرض، وأن الأرض هي جزء لا يتجزأ من هويته الثقافية والنفسية. الصراع على الأرض ليس فقط صراعًا على الجغرافيا، بل هو صراع وجودي يتعلق بقدرة الفلسطيني على الاحتفاظ بهويته الثقافية والروحية في مواجهة التحديات المستمرة. (المناصرة، 2005، صفحة 17)

7- الآخر: العدو الإسرائيلي وتجسيد الهويات المغايرة

يُمثل الآخر الإسرائيلي في رواية "قناع بلون السماء" شخصية معقدة، فهو ليس فقط عدوًا سياسيًا يسعى للسيطرة على الأراضي الفلسطينية، بل هو أيضًا تجسيد لقوة استعمارية تسعى إلى محو الهوية الفلسطينية وتدمير الوجود الفلسطيني على مختلف الأصعدة، " انها ساحة حرب حقيقية .. الاوضاع صعبة يا نور، والقدس باتت ثكنة عسكرية" (خندقجي، 2023، صفحة 90)، الآخر في الرواية لا يمثل فقط الاحتلال العسكري، بل يشمل أيضًا القوة النفسية والثقافية التي تحاول فرض نفسها على الفلسطينيين من خلال محاولات نزع هويتهم. (المناصرة، 2005، صفحة 35)

يتجاوز العدو الإسرائيلي في الرواية كونه مجرد مجموعة من الجنود الذين يمارسون القمع والقتل، بل يصبح شخصية معقدة في ذاته، تمثل الممارسات الاستعمارية الحديثة التي تهدف إلى تحريف التاريخ وطمس الهوية. فالإسرائيليون في الرواية ليسوا مجرد محتلين عسكريين، بل هم أيضًا أشخاص يمثلون الفكر الاستعماري الذي يسعى لإلغاء الثقافة الفلسطينية، بما في ذلك اللغة والدين والتقاليد (طرابيشي، 2004، صفحة 94) هذه الشخصية لا تكتفي بالاحتلال العسكري للأراضي، بل تعمل أيضًا على اجتياح الوعي الفلسطيني، مما يجعل

الفلسطينيين في مواجهة مزدوجة: مواجهة عسكرية من جهة، ومواجهة ثقافية ونفسية من جهة أخرى.

يظهر العدو الإسرائيلي في الرواية ككيان يمتلك القوة العسكرية والتكنولوجيا المتطورة التي يستخدمها لإخضاع الفلسطينيين، ولكنه في الوقت نفسه يتمتع بضعف داخلي على مستوى الروح والعقل، حيث يظهر الإسرائيليون في الرواية كأشخاص غارقين في مشاعر من الانغلاق الفكري والعاطفي. هم يمثلون عقلية ترفض التفاعل الثقافي مع الآخر، ويركزون على إخضاعه بالكامل من خلال القوة العسكرية والنفسية. (المناصرة، 2005، صفحة 42)

تُظهر هذه الصورة المعقدة للعدو في الرواية كيف أن الاحتلال ليس مجرد مواجهة بين جيوش، بل هو صراع يتجاوز حدود المعركة العسكرية ليشمل الحروب الثقافية والنفسية التي يتعرض لها الفلسطينيون. هذا العدو الإسرائيلي في الرواية ليس مجرد خصم في حرب سياسية، بل هو الكائن الذي يسعى لتحويل الفلسطيني إلى كائن بلا هوية، بلا ذاكرة، بلا ماضٍ أو مستقبل.

8- صراع الهوية والتمزق الداخلي:

تقمّص فيها البطل "نور" شخصية الإسرائيلي "أور شابيرا" من اللحظة الأولى، وانفتح في داخله صراع مركب، ليس بين شخصين فقط، بل بين ذاتٍ وأخرى؛ بين الفلسطيني الباحث عن حقيقة التاريخ الفلسطيني في باطن الأرض، وبين الإسرائيلي الذي يلبس ثوب المستعمر لا جسده فقط، بل روحه ولغته وثقافته. (سامي، 2022، صفحة 47)

لا يمكن فهم تمزق نور إلا ضمن سياق "تفكيك الهوية"، " تفقد بطاقة هويته المزورة ثم اخرج من جيب صغير في حقيبته قلادة نجمة داود الذهبية وارتداها وخباها تحت ياقة قميصه لحين خروجه من محيط البلدة القديمة ومن ثم سيقوم باستعراضها على صدره متباهيا

بملامحه اليهودية الصهيونية" (خندقجي، 2023، صفحة 97)، هذا ما تريده السلطة الاستعمارية حيث تجبر الفلسطيني ليس فقط على مغادرة وطنه، بل على التخلي عن ذاته، عن صوته، عن انفعالاته الأصيلة، ليُعيد تشكيل نفسه حسب شروط العدو.

تبدو الشخصية معلّقة في هذا الصراع بين عالمين: عالم الواقع الذي يُجبره على التنكر، وعالم الحنين الذي يعيده إلى أصله الفلسطيني، "لو انني نور فهل كان ليخلفني وحدي هنا دون مراقبة وحراسة ... ؟ لا اعلم "، هذا التعليق النفسي ينتج عنه قلق دائم، وتعب نفسي متكرر، وارتباك داخلي ينعكس في السرد عبر مفردات مثل: "أخاف أن أنسى اسمي الحقيقي"، "أنا أتكلم لغة لا تؤمن بي"، "عينا الجندي تراني ولا تراني."

توظّف اللغة في الرواية كأداة تعبير عن اضطراب الهوية، إذ نجد التداخل بين العبرية والعربية لا فقط في الحوار، بل في الوعي الداخلي للبطل، مما يُحدث تشويشًا في إدراك الذات، وهنا يمكن استحضار مقولة "فرانز فانون": "اللغة ليست فقط وسيلة تواصل، بل هي طريقة للوجود في العالم"، وبالتالي فإن اضطراب اللغة هو اضطراب وجودي يعكس اختلال الهوية. (الخزندار، 2023، صفحة 193)

تمثّل الهوية في الرواية ليست مجرد بطاقة تعريف، بل حالة شعورية وجسدية يعيشها نور، يتنفسها، ويتعذب فيها. فحين ينظر في المرآة ويرى نفسه بـ"ملامح الآخر"، يبدأ بفقدان الثقة في ما إذا كان هو نفسه، أو مجرد شبح يؤدي دورًا كُتب عليه في مسرح سياسي لا يملك تغييره.

تتجلى هذه الهوة النفسية بشكل أقوى في المشاهد التي يتعامل فيها نور مع الإسرائيليين كأنه منهم، بينما هو في داخله يقاوم الانصهار، " فاجات نور هذه المباغتة المرحة الا انه ريثما رد عليه اور بمثلها بروفسور.. لقد كنت تائها في اعماق مغارة سليمان باحثا عن عرشه الاسطوري" (خندقجي، 2023، صفحة 100)، هذا الانقسام هو جوهر البعد النفسي في

الرواية، حيث ينفصل الداخل عن الخارج، والهوية الحقيقية عن الهوية المزيفة، فيخلق حالة من الانفصام (Schizoid split) بين الذات والصورة. (سامي، 2022، صفحة 57)

9- البعد النفسي

تُعدّ البنية النفسية للشخصية في رواية *قناع بلون السماء* لباسم خندقجي من أبرز ركائز العمل الفني، حيث لا تكتفي الرواية بتقديم سرد خارجي لأحداث الصراع الفلسطيني، بل تتوغّل في أعماق الشخصية، وتُظهر القلق، الاضطراب، التمزق الداخلي، والتفاعلات اللاواعية الناتجة عن تجربة الاحتلال والتشظي الهوياتي.

إن البعد النفسي في الرواية لا يُقدّم كشكل من أشكال الزينة السردية أو التجميل الفني، بل كحقيقة وجودية تعكس مدى انغراس الاضطرابات الداخلية في كيان الإنسان الفلسطيني الواقع تحت منظومة استعمارية تُهدد كيانه المادي والرمزي معًا.

سنتناول هذا البعد في أربعة محاور تفصيلية: الهوية والتمزق، الصدمة النفسية، تشظي الذات، ثم الآليات الدفاعية، على أن نفصل هذه الآليات (الإنكار – الإسقاط) لاحقًا في بنود منفصلة كما طلبت.

9-1 الصدمة واللاوعي الجمعي الفلسطيني:

يتقمّص نور صدمة جماعية،التي تعتبر صدمة الشعب الفلسطيني بأكمله فهو لا يحمل فقط صدمة فردية،. يعيش في داخله شبح النكبة، النكسة، السجن، الاستشهاد، الفقد، والخذلان العربي. وهذه الصدمات لا تظهر كأحداث سردية فحسب، بل كأحاسيس غير مفسّرة، وكوابيس، وصراعات حلمية، وصمت ثقيل.

حين يفقد صديقه المحكوم بالمؤبد، لا يُظهر حزنه في البكاء أو النحيب، بل في انطواء داخلي طويل المدى، وفي صمت اللغة، وفي جمود العاطفة. يُعبّر خندقجي عن الحزن بوصفه صدمة مزمنة (chronic trauma) وليس مجرد لحظة انفعالية. (صوان، 2022، صفحة 115)

يُنظر الأدب النفسي للصدمة على أنها طاقة متجمّدة داخل النفس، لا تجد طريقًا للتفريغ، وتُعيد إنتاج نفسها بشكل متكرر عبر أحلام مزعجة، أعراض جسدية، أو انسحاب اجتماعي. وهذا ما نجده في سلوك نور، إذ لا يستطيع تكوين علاقات مستقرة، ويشكّ في كل من حوله، ويشعر أن جسده ليس ملكًا له.

تُحمّل الرواية اللاوعي الفلسطيني المعاصر عبء التاريخ، وتجعل من نور تمثيلًا للوجع الجمعي لا الفردي. إنه ابن المخيم، وابن الثورة، وابن القمع، وابن اللغة التي تسقط أمام أسوار السجن. لذلك، فإن أي حديث عن البعد النفسي في الرواية لا بد أن يمر عبر بوابة "الصدمة الجماعية"، التي تُنتج جيلاً هشًا، مهددًا بالانهيار، لكنه يقاوم عبر الذاكرة والكتابة والتخيل. (شبير، 2023، صفحة 120)

9-2 آليات الدفاع النفسي (الإنكار، الإسقاط)

- **الإنكار:**

يشير الباحثون النفسيون إلى أن الإنكار قد يظهر في عدة صور، منها رفض الشخص الاعتراف بخطر مرض جسدي أو نفسي، أو رفض التفاعل مع مشاعر الإحباط والألم الناتجة عن الخيانة أو الفقد. في الحالة الفلسطينية كما في حالة بطل رواية ***قناع بلون السماء***، يتجسد الإنكار في مقاومة الفرد للواقع السياسي القاسي من خلال تجاهل أو إنكار شعوره العميق بالعجز والهزيمة. (خالد، 2022، صفحة 81)

الانكار في *قناع بلون السماء* :

يلجأ بطل الرواية "نور" إلى الإنكار كوسيلة للتهرب من هويته الفلسطينية الحقيقية. يبدو أن شخصيته، التي يعبر عنها من خلال التنكر كمواطن إسرائيلي، هي انعكاس لهذا الدفاع النفسي. يقيم في المستوطنات الإسرائيلية، يرتدي قناعًا يحمل ملامح الآخر، ويتنكر في زي لا يعكس حقيقته. في هذا السياق، يصبح التنكر ذاته وسيلة للإنكار؛ فهو ينكر انتماءه وهويته الحقيقية من أجل النجاة مؤقتًا. (أبو عودة، 2023، صفحة 89)

يسعى نور من خلال هذا الإنكار إلى حماية نفسه من قسوة الواقع المتمثل في الاحتلال. في عدة مشاهد، يظهر أن نور لا يعترف بمخاوفه من أن يُكتشف أمره أو يُعاقب بسبب قناعته الحقيقية. هذا الرفض للواقع يجعل نور يحاول العيش في فقاعة من الإنكار، حيث يحاول الهروب من صراع الهوية المستمر.

يتجلى هذا الإنكار في سلوكه اليومي في المستوطنة؛ حيث يعيش في فقاعة مؤقتة ويغلق على نفسه أية محاولات للتعامل مع الحقيقة. لكن مع مرور الوقت، يبدأ هذا الإنكار بالانهيار أمام التوتر النفسي الداخلي المتزايد. (عمار، 2022، الصفحات 33–39)

- **تأثير الإنكار على الشخصية:**

يُعتبر الإنكار في الأدب النفسي من أحد أبرز العوامل المسببة للاحتقان النفسي إذا ما استمر لفترة طويلة. في حالة "نور"، يبدأ الإنكار في التأثير سلبًا على صحته النفسية؛ إذ تتحول مشاعره إلى نوبات من القلق والتوتر الدائمين. رغم رفضه للاعتراف بالحقيقة المؤلمة، إلا أن تأثير هذا الإنكار على صحته النفسية يكون كبيرًا، مما يدفعه إلى توجيه مشاعره إلى أنفسهم عبر إسقاطات دائمة على الواقع الخارجي.

وفي المراحل اللاحقة من الرواية، نلاحظ أن هذا الإنكار يؤدي إلى تزايد الشعور بالعزلة والانفصال عن الواقع. يصبح "نور" في صراع داخلي مع ذاته، وتظهر إشارات هذا الصراع بشكل ملموس في سلوكياته وتصرفاته في مواجهة الآخرين، حيث يصعب عليه التواصل أو بناء علاقات صحيح. (شتيوي، 2022، صفحة 89)

- **آثار الإنكار على البنية الاجتماعية:**

يعكس الإنكار في الرواية حالة الجماعة الفلسطينية فهو لاينعكس فقط على البطل نفسه. ففي سياق الاحتلال، يتعامل الكثير من الفلسطينيين مع واقعهم من خلال آليات إنكار جماعية تساهم في منعهم من الاعتراف بالألم المتجسد في حياتهم اليومية. هذا الإنكار الجماعي يؤثر بشكل عميق على المواقف النفسية والتفاعلات الاجتماعية، ويؤدي إلى انسحاب الأفراد إلى داخل أنفسهم، مما يعمق الإحساس بالعزلة والوحدة. (خالد، 2022، صفحة 88)

يصبح الإنكار في الرواية ليس مجرد سمة فردية، بل أداة جماعية تُستخدم للتعامل مع الواقع الصادم للفرد الفلسطيني، وتنطوي على محاولة للفرار من الواقع الكابوسي الذي لا يُمكن تحمّل تداعياته النفسية. وقد يتسبب هذا الإنكار على المستوى الجماعي في تجنب الحديث عن الأزمات الوطنية والتاريخية، مما يخلق جدرانًا نفسية بين الجيل المعاصر من الفلسطينيين وتجربة الأجيال السابقة.

- **الإسقاط**

يشكل الاسقاط آلية دفاع نفسي أخرى وضعها فرويد، وتُعرف بأنها تحويل مشاعر الفرد أو دوافعه غير المقبولة إلى طرف خارجي. يُعدّ الإسقاط من الآليات العصابية) ، وهو بمثابة طريقة يحاول فيها الفرد التخلص من مشاعر القلق أو الذنب المرتبطة بمشاعره الداخلية من خلال نسبها إلى الآخرين. بعبارة أخرى، الشخص الذي يعاني من صراع داخلي قد يُسقط

هذا الصراع على شخص آخر أو مجموعة، معتقدًا أن المشاعر أو الدوافع السلبية لا تنبع من داخله بل من الطرف الآخر. (خالد، 2022، صفحة 90)

الهدف من الإسقاط هو تخفيف حدة الصراع الداخلي، لكنه في ذات الوقت لا يحل المشكلة الجذرية التي تُؤدي إلى الصراع. بينما يمكن أن يوفر الإسقاط نوعًا من التخفيف المؤقت من التوتر، فإنه في النهاية يُبقي على القلق النفسي ويُحافظ على جذور الصراع غير المحلولة.

- **الإسقاط في *قناع بلون السماء*:**

يستخدم البطل "نور" الإسقاط كآلية نفسية رئيسية للتعامل مع واقع الاحتلال الإسرائيلي. في الرواية، يَسقط نور مشاعر العجز، الكراهية، والفقد على "الآخر"، ممثلًا في الشخصية الإسرائيلية، التي يراها عدوانية وقاسية بلا قلب. يبدأ نور في تصوير الإسرائيليين كـ "أعداء بلا رحمة"، ويُعتقد أن تلك الشخصية الوحشية هي جوهرهم، في حين أن هذه المشاعر هي في الواقع انعكاس لمشاعره الخاصة من الكراهية والاغتراب عن الذات. (فؤاد، 2022، صفحة 222)

- **الإسقاط على العدو:**

يُجسد العدو في الرواية شخصية مادية وفكرية تُمثل الذات المنكوبة في واحدة من المشاهد المكثفة فهو لا يُنظر إليه فقط كخصم سياسي أو عسكري، حيث يصف نور الجندي الإسرائيلي قائلاً: "هو يعرف عني أكثر من نفسي، هو يعلم ما هي نقاط ضعفي"، في إشارة إلى مشاعر الضعف الداخلي التي يعاني منها. لكن في الوقت نفسه، يبدأ نور في تصور العدو ككائن مملوء بالكراهية، عدوًا لا يُمكن التفاهم معه. (عمار، 2022، صفحة 42)

من خلال هذه الإسقاطات، يحاول نور تهدئة مشاعر الضعف والعجز التي يشعر بها تجاه الاحتلال. حيث يعكس الإسقاط على شخصية الآخر إحساسه الشخصي بالذنب الداخلي والخوف من فقدان الهوية، ويحولها إلى خصائص سلبية يعلقها على الإسرائيلي.

- **تأثير الإسقاط على الوعي الذاتي:**

يبدأ نور في تشويه واقعه النفسي. حين يُسقط مشاعر العجز والضعف على الآخر، يزداد عنده الشعور بالعدوانية تجاه الإسرائيليين، ويبدأ في التعامل معهم من زاوية تفسر جميع تصرفاتهم على أنهم أعداء غير قادرين على الشعور بالرحمة أو التعاطف. ومع أن هذا الأسلوب يخفف من التوتر النفسي على المدى القصير، إلا أنه يعوق نور عن مواجهة ذاته وعن تقبل مشاعره الداخلية.

يُعد الإسقاط في الرواية بمثابة آلية لتفريغ مشاعر الغضب والعجز التي يعاني منها نور جراء الاحتلال. لكن هذه العملية تصبح سلبية عندما تُستخدم بشكل مفرط، وتؤدي إلى تهرب دائم من معركة الذات مع الواقع. في النهاية، يتحول الإسقاط إلى سجن نفسي آخر يجعل نور يعيش في دوامة من الاتهام الداخلي والعنف النفسي.

- **الإسقاط على المستوى الجماعي:**

ينسحب الاسقاط على المجتمع الفلسطيني ككل فهو لا يقتصر على البطل نور فقط، ففي صراع طويل الأمد مع الاحتلال، تبدأ مشاعر الفلسطينيين بالتركيز على العدو الإسرائيلي باعتباره مصدر كل معاناتهم. هذا الإسقاط الجماعي يعزز العداء والكره، ويُغذي الأسطورة المتبادلة بأن العدو هو الكائن الشرير الذي يسبب الكارثة الفلسطينية. (عمار، 2022، صفحة 45)

ومع مرور الوقت، تصبح هذه الإسقاطات أكثر قوة ووضوحًا في الوعي الجمعي للفلسطينيين، مما يساهم في تعزيز الشعور بالمظلومية والظلم المستمر. كما يعمق من أفق الصراع ويجعله مستمرًا في دوامة من الكراهية التي يصعب التخلص منها.

من خلال تحليل آليتي الدفاع النفسي "الإنكار" و"الإسقاط" في *قناع بلون السماء*، يمكننا أن نرى كيف تستخدم الشخصيات الأدبية هذه الآليات للتعامل مع واقع احتلالي مرير.

يُظهر الإنكار كيف يرفض الفرد التصالح مع هويته الفلسطينية الأصلية كما يتجسد في شخصية "نور"،، بينما يُحاول إيجاد سُبل للنجاة من خلال خلق "قناع" يحميه مؤقتًا من الشعور بالعجز. (فؤاد، 2022، صفحة 230)

أما الإسقاط في الرواية، فإنه يُظهر كيف ينقل الأفراد مشاعرهم السلبية إلى الخارج، وخاصة على شكل العدو الإسرائيلي، مما يعمق الانقسام النفسي ويُغذي مشاعر العداء المستمر.

تُظهر الرواية بوضوح أن تلك الآليات الدفاعية قد تكون مؤقتة وضرورية للتعامل مع الوقع النفسي المرير، لكنها في النهاية تبقي الأفراد والمجتمعات في دوامة من الألم دون أن توفر لهم وسيلة حقيقية للتعافي أو الاستمرار في مواجهة الواقع بطريقة بنّاءة.

10- الصوت المقاوم: الضمير المقاوم بوصفه معنى للهوية

ينبثق صوت آخر من أعماق البطل، صوت لا يرضى بالخضوع، ولا يستسلم للضعف، بل يُعلن المقاومة. هذا الصوت، الذي يمثل الضمير المقاوم، ليس مجرد حالة نفسية، بل هو فعل واعٍ، موقف أخلاقي وسياسي، يُجسد جوهر الهوية الفلسطينية في وجه محاولات المحو والإنكار.

الضمير المقاوم في الرواية يتكلم بلغة التاريخ، بلغة الذاكرة، بلغة الحكاية التي تُروى كي لا تُنسى. هو صوت يُعيد ترتيب الفوضى الداخلية التي أحدثها السجن، ويمنح الذات سببًا للاستمرار.

يجعل باسم خندقجي من الكتابة أداة مركزية لهذا الصوت، حيث تتحول الكلمة إلى سلاح، والحبر إلى خندق من خنادق النضال. الشخصية لا تكتب فقط لتملأ وقتها، بل تكتب كي تصرخ، كي تعلن عن وجودها، كي تُجسد هويتها في مواجهة الغياب القسري. (شتيوي، 2022، صفحة 92)

يُظهر الضمير المقاوم نفسه أيضًا في قدرة البطل على تحويل الألم إلى أداة تفكير، على تحويل الصمت إلى مساحة تأمل، وعلى جعل العزلة مناسبة لاستدعاء الرموز الوطنية، الشهداء، والقصص الجماعية. هو صوت يربط الفرد بجماعته، والماضي بالحاضر.

يتحدث إدوارد سعيد عن هذا النوع من المقاومة حين يعتبر أن الذاكرة ليست فقط أداة للبكاء، بل هي مساحة للمواجهة. والرواية تطبق هذه الفكرة بامتياز، حيث يصبح الضمير المقاوم امتدادًا لذاكرة جماعية، لا تنسى، ولا تغفر، ولا تهادن. (خالد، 2022، صفحة 68)

في كل مرة ينهار فيها الصوت الانهزامي، ينهض الضمير المقاوم ليعيد البطل إلى مساره. وفي كل مرة يُخيم فيها الظلام، تشتعل جملة مكتوبة على ورقة لتُضيء طريق العودة إلى الذات.

10-1 الصوت الصامد / صوت الأمل الذي لا يخبو

تنبعث من الرواية ومضات صافية من الأمل رغم السجن، القيد، وجدران القهر العالية،. فالصوت الصامد الذي يتجسد في شخصية البطل ليس فقط قرارًا فرديًا بالتحدي، بل هو فعل مقاومة معنوي وثقافي، ضد سلطة تسعى إلى محو الهوية ومسخ الذات. هذا الصوت

الصامد، الذي يحضر على هيئة كلمات، ذكريات، رسائل، أو حتى حلم قصير، هو الشكل النقي من أشكال الانتماء لفكرة الحرية، وللكرامة، وللذات الإنسانية.

يظهر الأمل بوصفه نوعًا من التمرّد الصامت. هو لا يصرخ، لا يثور، لكنه يرفض الاستسلام. حين يرفض البطل أن ينكسر، أن ينسى، أن يبيع ذاكرته، فإنما يعلن أن داخل كل إنسان منطقة لا يمكن لأي جلّاد أن يصل إليها. (عمار، 2022، صفحة 35) إنها منطقة الصمود النفسي، تلك التي تحدث عنها فيكتور فرانكل في كتابه الشهير "الإنسان يبحث عن معنى"، حين قال إن الحرية الأخيرة للإنسان هي أن يختار موقفه أمام كل ظرف.

يتجلى هذا الصوت في علاقة البطل باللغة. فحين يكتب، يدوّن، يتذكر، أو حتى حين يقرأ في زنزانته، فإنما يؤكد أن العقل ما زال حرًا. القراءة والكتابة، رغم محدودية الأوراق والأقلام، تتحول إلى أدوات مقاومة. وهنا تبرز الثقافة كثِقل موازٍ للقيد: الجسد يُقيد، لكن الفكر يُحلّق.

تتحول الكتابة إذًا إلى ملاذ، إلى طريقة لقول "أنا هنا" رغم أنف العدم. وتتحول الذاكرة إلى مصدر دفء، حين يسترجع البطل صور والدته، بيته، الأزقة، الشمس، المطر، وحتى الأحلام المؤجلة، فتكون كلها وقودًا لصوته الداخلي الذي لا يستسلم.

تعجّ الرواية بالقصص القصيرة عن زميله مراد في الزنزانة، فالصمود هنا ليس فقط موقفًا فرديًا، بل جماعيًا أيضًا. عن أسرى لا يتحدثون كثيرًا، لكنهم يحملون في أعينهم لغات كاملة من الثبات. هؤلاء يمثلون "الوعي الجمعي المقاوم"، الذي وإن لم يتكلم، فإنه يرفض أن يُهزم من الداخل.

أقسى ما يمكن أن يفعله السجن ليس أن يُعذّب، بل أن يقنعك أن الألم لا جدوى منه، وأن الصمود لا فائدة له. لكن حين نرى البطل يرفض هذه القناعة، ويصر على أن لوجوده معنى، فإنه يعلن استمرار الإنسان في أعمق معانيه.

يصبح صوت الأمل الصامت في الرواية، بمثابة **خط دفاع داخلي أخير** عن كرامة الإنسان، لا تحرسه قوانين، ولا تسنده دول، بل تسنده الإرادة الحرة، والإيمان بأن الظلم لا يمكن أن يدوم.

خـــاتمة

خاتمة:

أسفرت هذه الدراسة عن جملة من النتائج المهمة التي يمكن أن نجملها فيما يلي:

- سردية الرواية تعكس صورة "نور" أنها ذات متحركة تبحث عن حقيقتها عبر الآخر "اور".
- نور الشهدي الذي فقد اليقين في هويته فاعتبر "الآخر" "أور" مرآته لجا إليه فتصادم في رفضه وتقبله لهاته الشخصية.
- القناع وسيلة استخدمت في الرواية لغرض الروائي إنها حرية فردية وحقة في إعادة تعريف "الذات".
- استعملت شفرة دافنشي في الرواية على أنها رسالة مشفرة للنهوض والثورة على المحتل.
- يعيش "نور مهدي الشهدي" في مخيم اللاجئين في رام الله الذي يعتبر جغرافيه وهو جوهر القضية الفلسطينية ومبحثا للهوية.
- تطور القناع في الرواية بين اللغة الشعرية وشخصيات رمزية تسعى إلى التحرر من الضغوط المختلفة بحثا عن الاستقرار والحرية.
- قناع بلون السماء شكل صراعا نفسيا واجتماعيا عميقا بين شخصية "نور" و"أور".
- التعقيد المتداخل بين الشخصيات من الناحية النفسية والاجتماعية عزز لنا أن نثبت أن الهوية تتغير بتغيير الأحداث والصراعات المتناقضة.
- استعمل نور القناع "تهيئة مستوطن" الذي خلق التمزق بين ما هو يبدو وما هو كائن انه إنسان مقاوم يحمل ذاكرة شعبه.
- لم يرسم لنا القناع أن نور يريد فقد هويته وإنما جعله سبيلا للحفاظ على الذات من خلال علاقته مع الآخر.

- إن العلاقة بين "الأنا" والآخر "أور" من خلال الصراع والتعايش والحوار والاختلاف نتج عنه صراع في الهوية.
- إن القناع بالنسبة ل"نور" هو وسيلة تحرر تسمح له التعبير عن ذاته الحقيقية المغلوبة على أمرها أما بالنسبة لأور فهو تنكر للهروب من المستعمر الصهيوني بحثا عن أناه.
- ازدواجية الهوية جعل ممثلها بين شعور وانتماء لوطنه وبين انتماءاته الخارجية هذا ما أدى إلى صعوبة فهم الذات والخروج من قيد المستعمر.
- استخدام نور اللغة العبرية أثناء تقمصه للشخصية ساعد في تعزيز الانتماء الثقافي.
- إن التنقل الجذري من لغة الأم "العربية" إلى اللغة الفرنسية والانجليزية والعبرية تبين لنا قدرة المجتمعات في الحفاظ على التراث والتجديد فيه.
- اكتسب نور مكانة في الوسط الغربي الذي تقبله على التقبل بعدما تخلى عن أناه ليكون "أور".
- تمثل الرواية صراعا إيديولوجيا على أن يكون "نور" ذاته ويتقبل اضطهاد الآخر أم انه مخير أن يتحول إلى "أور" ويشتبك في انتماءه.
- تمر ذاتية "نور" بعدة تحولات بمجرد اتصالها واحتكاكها بالآخر لكن هذا التحول خلق لديه صراعا نفسيا.
- عانى "نور" من خيبة أمل كبيرة سطرتها معتقدات يهودية مما جعله يختار الآخر ويستغني عن أناه.
- لم يسعى نور ليبحث عن تاريخ "مريم المجدلية" ليؤسس دينا خاصا بالأمة العربية وإنما بحثا عن التحرر من الآخر الغربي.
- سعى نور أن يستكشف هويته فقام باختيارها وشارك الآخر فيها "أور" لكنه فشل ليستنتج في الأخير أن الهوية تتعين سلفا ولا نختارها.

- لا تعتبر القناع وسيلة رمزية فقط بل يتعدى إلى فهم التغيرات الاجتماعية والبحث عن ذات الهوية.
- صراع الهوية في هاته الرواية لم يقف في بوتقة واحدة جمع بين الصراع الداخلي وضغوط اجتماعية وأبعاد سياسية ثقافية فكرية وإيديولوجية.
- جمعت الرواية بين الرمز والواقع في تقصي جذور الهوية الحقيقية واغتصابها.
- لم يكن القناع وسيلة مزيفة ولنما تميل الواجهة التي تحجب الهوية الحقيقية للشخصية.
- إن البعد التاريخي والنفسي ساعد أفكار الرواية لتعبير عن قضايا أساسية جسدها "نور وأور" بين الرفض والقبول.
- لم تكن هويته الإسرائيلية أكثر وعيا وصدقا وإنما هي مجرد انطلاقة لتعريف ذاته.
- نور لم يدرس الآثار ليبحث عن رزق مادي بل عن ذاكرة سرقت منه.
- إن النهاية التي ختمت بها الرواية ترك نور للقناع هي نتيجة الفشل التي لم يصل إليها لكشف زيف الصهاينة لكن الشيء الجميل انه لم يفقد نفسه تحت قناع أور "شابيرا" فتظل النهاية مفتوحة ويبقى صراع الهوية متداخلا لم يحسم بعد.

الملاحق

يعد الروائي باسم خندقجي من الكتاب الفلسطينيين الذين اشتهروا بمؤلفاتهم لاسيما في مجال النثر والرواية متخذا منها أداة ووسيلة للتعبير عن أفكاره وواقعه أيضا لنقد الواقع وتصوير أهم تغيراته ومكوناته، على رأسها ثنائية الأنا والأخر المؤسسة للوضع والتغير الحاصل على فلسطين.

مما لاشك في أن رواية قناع بلون السماء من بين أهم المؤلفات للكاتب باسم خندقجي الصادرة سنة 2023، والحائز على شهادة البوكر في الوطن العربي، إذ تنطلق أحداث الرواية من كلمة الكاتب ثم يسرد قصة نور مهدي الشهدي بطل روايته الفلسطيني وصديقه مراد الذي دخل السجن بحكم مؤبد، فنور شخصية أساسية سعت إلى إعادة تراثها المتعلق بمريم والدين المسيحي المسلوب والمختفي وراء أكاذيب المستعمر والتأثيرات الغربية، ليجد بطاقة لشخص صهيوني تقابل إسمه بالعبرية "أور"، فيتخذ منها شخصيته الثانية والمنتمية للأخر بهدف تحقيق حلم استعادة هويته المسلوبة والمجسدة في صورة مريم المجدية والكنز، لم يقتصر الممر على هذه الشخصية وتصوير مسارها بل صور حالة العائلات كعائلة نور، مراد ووظف التاريخ المجدلي والمعتقد المسيحي عن طريق شخصية نور وسرده لبعض التصورات عن التاريخ المجدلي وعلاقة مريم بياسوع وبطرس، ومن خلال تصوير رحلة البطل نور وتحوله إلى أور لتحقيق هدفه بدخوله الأماكن الأثرية وانتمائه للأخر بكل مظاهره، وحتى العمل في شركاته ومختبراته، والتفاعل مع أفراده، ليمر بمرحلة تشظي تمس هويته الصهيونية لأور، أي تداخل الأنا والأخر في أنٍ واحد.

وأيضا ان المتطلع على الرواية يجدد دعوة للتسامح الديني لاسيما في فلسطين والتي تجسدت من خلال شخصية الشيخ مرسي المسلم ونور المسيحي، وأيضا مراد وعلاقته بالمساجين بإختلاف الهوية الدينية.

أن الكاتب من خلال مؤلفه الروائي الموسوم " بقناع بلون السماء "وتصوير رحلة نور للبحث عن التراث المجدلي وتنكره في شخصية أور لتحقيق ذلك، عالج قضية الأنا والأخر وصور

حياة الشعب الفلسطيني بين الصراع الداخلي الذي جسده نور، والصراع الخارجي بين الصهاينة وفلسطين وشعبها المضطهد.

لتنتهي الرواية بترك نور، الهوية المزيفة ورمي البطاقة المنتهية الصلاحية ورمي سلسلة النجمة الدالة على الصهاينة ليعود إلى هويته الأصلية وينظم للكفاح والنضال بدل الحياة في رام الله والتمسك بهويته.

فكانت الهوية مركز إنطلاقنا منه الرواية وانتهت بالعودة إليها، ليدل بذلك على أهمية الهوية الفلسطينية وان النضال والدفاع عنها ضرورة وإلتزام لا مفر منه.

و أن الأخر لابد له من الخروج في يومٍ ما، فالهوية منطلق للأنا والأخر على حدٍ سواء ولا وجود لهما بغيابها.

أعمال باسم خندقجي

الروايات

- قناع بلون السماء
- خسوف بدر الدين
- نرجس العزلة
- مسك الكفاية: سيرة سيدة الظلال الحرة
- أنفاس امرأة مخذولة
- سادن المحرقة

دواوين الشعر

- أنفاس قصيدة ليلية
- طقوس المرة الأولى
- طرق على جدران المكان
- شبق الورد إكليل العدم

أعمال أخرى (مقالات، دراسات، إلخ)

- نشر باسم خندقجي حوالي 250 مقالة من داخل السجن، وبعضها كان ضمن مجموعات مثل
  - مسودات عاشق وطن 10 (مقالات عن الهم الفلسطيني)

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

قائمة المصادر والمراجع:

1. إبراهيم رسول. (10 05, 2024). *النقد الضمني في قناع بلون السماء للروائي باسم خندقجي*. تاريخ الاسترداد 05 01, 2025، من صحيفة الزمان: https://mail.azzaman-iraq.com/content.php?id=90414

2. إبراهيم أبو الغد. (2012). *الفلسطينيون في الأدب العربي* (الإصدار 1). بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

3. إبراهيم حمادة. (1985). *معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية*. القاهرة: دار المعارف.

4. إبراهيم نصر الله. (2017). *أرض الله* (الإصدار 1). بيروت: دار الآداب.

5. أحمد داوود. (2019). *خارج السياق* (الإصدار 2). بيروت: دار الفارابي.

6. أحمد ظافر. (2022). بلاغة القناع في الرواية الفلسطينية. *مجلة دراسات فلسطينية*(12).

7. إدوارد سعيد. (1995). *الاستشراق* (الإصدار 5). (كمال أبو ديب، المترجمون) لبنان: مؤسسة الأبحاث العربية.

8. إريك إريكسون. (2007). *نظرية النمو النفسي الاجتماعي* (الإصدار 1). (جميل رضوان سامر، المترجمون) الإمارات العربية المتحدة: دار الكتاب الجامعي.

9. إسماعيل الناظر. (1947). *فلسطين في الرواية*. بيروت: دار الكتاب العربي.

10. المجلة الثقافية الجزائرية. (2024). *حين تتحول السماء إلى قناع: رمزية الهوية والتحول في رواية "قناع بلون السماء"*. تاريخ الاسترداد 20 04, 2025، من المجلة الثقافية الجزائرية: https://thakafamag.com

11. إميل حبيبي. (1974). *المتشائل* (الإصدار 4). بيروت: دار الآداب.

12. أنور صوان. (2022). تحليل البنية النفسية في روايات الأسرى. *مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية*(44).

13. إيمان فرج الله. (2022). التوتر النفسي المستمر لدى الأطفال الفلسطينيين: الأثر النفسي للاحتلال. *مجلة علم النفس الاجتماعي، 4*(2).

14. إيمانويل كانط. (1993). *نقد العقل المحض* (الإصدار 2). بيروت: دار الفكر.

15. باسم خندقجي. (2023). *قناع بلون السماء* (الإصدار 1). بيروت: دار الآداب للنشر والتوزيع.

16. توفيق الحكيم. (1975). *الأدب المصري في القرن العشرين*. القاهرة: دار الشروق.

17. تيسير قاسم. (2014). *الاشتياق* (الإصدار 1). بيروت: دار الريس.

18. جان بول سارتر. (2012). *الوجود والعدم* (الإصدار 1). تونس: دار الأمان.

19. جمانة التل. (2015). *الآخر في الأدب الفلسطيني المعاص* (الإصدار 1). بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

20. جورج طرابيشي. (2004). *العقل المستقيل في الإسلام* (الإصدار 1). لبنان: مركز إنماء للدراسات.

21. رانيا ضاهر. (2010). *أدب المقاومة في فلسطين* (الإصدار 1). بيروت: دار الساقي.

22. رنا شبير. (2023). *سرديات المقاومة في الرواية الفلسطينية المعاصرة* (الإصدار 1). عمّان: دار المسيرة.

23. ريان الصانع. (2023). الهوية والذاكرة في الرواية العربية. *مجلة الحصاد*(4).

24. زكر سعاد. (2022). *المخيم والهوية الممزقة*. نابلس: جامعة النجاح الوطنية للنشر.

25. سحر خليفة. (2009). *صقر قريش* (الإصدار 1). بيروت: دار الآداب.

26. سعيد إدوارد. (1993). *الثقافة والإمبريالية*. بيروت: دار الآداب.

27. سلام أبو الحسن. (2016). *اتجاهات النقد المسرحي المعاصر بين النظرية والتطبيق*. الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.

28. سميح سولي. (2020). *تلوين الذاكرة: بين الحنين والتمرد* (الإصدار 1). بيروت: دار المدى.

29. شرف الدين محمد. (2022). *الانتماء والاغتراب في الرواية الفلسطينية المعاصرة* (الإصدار 1). عمّان: دار الغد العربي.

30. شعيب سامي. (2022). الرواية الفلسطينية المعاصرة في سجون الاحتلال. *مجلة الآداب اللبنانية*(6).

31. شهلا العجيلي. (02 05, 2024). *مواجهات الهوية والبحث عن الجذور في رواية باسم خندقجي "قناع بلون السماء" تطرح سؤال الذات أمام تحولات القيم التي تمثل حياة*

مجموعة *بشرية*. (خليل، المحرر) تاريخ الاسترداد 18 05, 2025، من اندبندنت عربية: https://alsafina.net/archives/17473

32. صالح سعد. (1995). *ميتافيزيقا الحركة: دراسات في الدراما الحركية والرقص* (الإصدار 3). القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، مكتبة الشباب.

33. صالح سعد. (2001). الأنا–الآخر–ازدواجية الأداء التمثيلي. (274).

34. عبد الغفار مكاوي. (1984). *علامات على طريق المسرح التعبيري*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

35. عبد الفتاح كيليطو. (1992). *الكتابة والتناسخ*. المغرب: دار توبقال.

36. عبد الله الغذامي. (2006). *الهوية والاختلاف: الأنا والآخر في الفكر العربي الحديث* (الإصدار 3). المغرب: المركز الثقافي العربي.

37. عبد الهادي منصور. (2021). *الحنين والتمرد: قراءة في الأدب الفلسطيني* (الإصدار 1). القاهرة: المركز القومي للترجمة.

38. عبد الوهاب المسيري. (2000). *الصراع العربي الإسرائيلي وصورة الآخر* (الإصدار 1). القاهرة: دار الشروق.

39. عبير شتيوي. (2022). الهوية والانتماء في الأدب السجني الفلسطيني. *ملتقى جامعة بيرزيت للأدب المقاوم، أعمال المؤتمر السادس*.

40. عز الدين المناصرة. (2003). *الصراع على الأنا في الأدب العربي* (الإصدار 2). بيروت: دار الدراسات الفلسطينية.

41. عز الدين المناصرة. (2005). *نظرية التناص وتطبيقاتها في النقد العربي الحديث* (الإصدار 2). الأردن: دار الشروق.

42. علي حرب. (2012). *الهوية المتعددة: تفكيك المفهوم وبناء المعنى* (الإصدار 2). لبنان: دار التنوير.

43. علي عمار. (2022). الفضاء المكاني في قناع بلون السماء. *مجلة آفاق أدبية*(17).

44. علي عمار. (2022). المكان والذاكرة في الرواية. آفاق أدبية.

45. غسان كنفاني. (1963). *رجال في الشمس* (الإصدار 2). بيروت: دار الآداب.

46. فادي زكريا. (2010). *الذاكرة الفلسطينية: هوية الأرض* (الإصدار 1). بيروت: دار الساقي.

47. فاطمة المير. (2011). *الأنا في الأدب الفلسطيني* (الإصدار 1). بيروت: دار الفارابي.

48. فدوى أبو عودة. (2023). التناص والهوية في أعمال باسم الخندقجي. *مجلة إربد للدراسات الإنسانية، 39*(1).

49. فرج خالد. (2022). الرمزية النفسية في الرواية. *الموقف الأدبي*(558).

50. فؤاد الغول. (2019). *الهوية والاغتراب في الرواية العربية* (الإصدار 2). دمشق: دار طلاس.

51. محمد عابد الجابري. (1995). *الهوية والاختلاف: دراسة في الفهم والتأويل* (الإصدار 1). لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.

52. محمد علي إبراهيم. (2013). *الفلسطيني* (الإصدار 1). بيروت: دار الجمل.

53. محمد فؤاد. (2022). *الرواية الفلسطينية ما بعد أوسلو: دراسة تحليلية*. القاهرة: دار رؤية.

54. محمود درويش. (2008). *الشتات الفلسطيني* (الإصدار 1). بيروت: دار الآداب.

55. محمود شقير. (1999). *سيرة مدينة* (الإصدار 1). عمان: دار الشروق.

56. مصطفى سويف. (2005). *الذاكرة الجمعية وتشكيل الأنا* (الإصدار 1). القاهرة: دار الكتاب العربي.

57. معاذ إشتية. (2024). *أيديولوجيا الخطاب في رواية "قناع بلون السماء"*. تاريخ الاسترداد 20 04, 2025، من مجلة جامعة الزيتونة الدولية للنشر العلمي: https://journal.ziu-university.net

58. منير الحايك. (2024). *قراءة في رواية "قناع بلون السماء"*. تم الاسترداد من https://addiyar.com/article/2155430

59. نهاد صليحة. (1997). *التيارات المسرحية المعاصرة*. القاهرة: مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

60. نوال الخزندار. (2023). *الرواية النسوية الفلسطينية من الداخل والخارج*. عمّان:، دار اليازوري.

61. هالبواكس موريس. (2014). *الذاكرة الجمعية*. (حسام خليل، المترجمون) دمشق: دار الحوار المتمدن.

62. يوسف حنا. (1910). *زهراء* (الإصدار 1). القاهرة: دار الهلال.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

مقدمة:.....أ

مدخل:

الرواية الفلسطيني

1- النشأة والتطور.....5

2- الرواية الفلسطينية قبل النكبة.....6

3- أول الروايات الفلسطينية: يوسف حنا وروايته "زهراء".....6

4- تأثير الاستعمار البريطاني على الرواية الفلسطينية.....7

5- الرواية الفلسطينية بين التأثر بالتيارات الأدبية العالمية والحركات العربية.....7

6- الكاتب الفلسطيني بين الواقع الاجتماعي والاحتلال السياسي.....8

7- الرواية الفلسطينية في مواجهة التحديات السياسية.....8

8- الرواية الفلسطينية بعد النكبات 1948 / 1967 / 1987.....9

9- تأثير نكبة 1948 على الأدب الفلسطيني:.....9

الفصل الأول:

الأنا والآخر في صراع الهوية

1. غسان كنفاني: الثورة في الأدب الفلسطيني.....10

2.نكبة 1967: الأدب الفلسطيني في ظل الاحتلال المباشر.....10

3. أثر نكبة 1967 على الرواية الفلسطينية:.....10

4. إميل حبيبي: الواقعية السياسية في الأدب الفلسطيني.....11

5. انتفاضة 1987: الأدب الفلسطيني في زمن الثورة.....11

6. أثر انتفاضة 1987 على الأدب الفلسطيني:.....11

7. محمود شقير: كتابة الأدب في زمن الانتفاضة.....12

الفصل الثاني:

تجليات الأنا والآخر في رواية قناع بلون السماء لباسم الخندقجي

1- ثنائية الأنا والآخر:.....15

1-1 الأنا: الهوية الفلسطينية في مواجهة التحديات التاريخية.....15

2- الأنا والآخر: الصراع الداخلي والهويات المتعددة.....17

3- الرمزية في الأدب الفلسطيني: تمثيل الأنا والآخر.....17

4- الأنا الفلسطينية في الأدب المعاصر: التحرر من أسر الآخر 18

أ- مفهوم الأنا.....19

ب- مفهوم الآخر.....20

5- الآخر الإسرائيلي في الأدب الفلسطيني.....21

5-1 الآخر في الشتات: الفلسطيني بين الهويات المتعددة 22

5-2 الآخر الثقافي والاقتصادي 22

6- صورة الأنا.....23

أ- الأنا الخاضعة.....23

ب- الأنا السلطة 25

7- في مفهوم الهوية 27

1-7 تعريف الهوية في الأدب الفلسطيني 27
2-7 الهويات المتعددة في سياق الهويات الفلسطينية 28
3-7 الهوية الفلسطينية قبل وبعد النكبات..... 28
4-7 الهوية الفلسطينية قبل النكبة..... 29
5-7 الهوية الفلسطينية بعد النكبة..... 29
6-7 الهوية الفلسطينية بعد 1967 30
1- صراع الهوية 33
1-1 نبش جذور الأنا 34
2-1 استحضار الذاكرة وبنية السرد الاسترجاعي 34
2- تجليات الذاكرة الجمعية في رواية «قناع بلون السماء»:..... 37
3- ثنائية الانتماء والانفصال 39
3-1 مشهد التحوّل بين الحنين والتمرد..... 39
4- اللغة كرمز للانتماء الثقافي..... 43
4-1 اللغة العربية كلغة أم تقاوم المحو..... 44
4-2 اللغة العبرية كقناع ثقافي وسردي:..... 44
4-3 المشهد اللغوي المزدوج كرمز للتصدّع الداخلي..... 45
4-4 اللغة وسؤال الهوية: من التمثيل إلى التأصيل..... 46
5- الوظيفة الدرامية للقناع في كشف أو إخفاء الهوية..... 48
5-1 تطور القناع كأداة إبداعية..... 48
5-2 القناع بين التقليد والحداثة..... 49

5-3 القناع كأداة لإخفاء الهوية.....50

5-4 القناع كأداة لكشف الهوية.....51

6- الأنا في مواجهة الآخر العدو في الرواية.....52

6-1 الأنا/ الهوية الفلسطينية في مواجهة العدو.....53

7- الآخر: العدو الإسرائيلي وتجسيد الهويات المغايرة.....55

8- صراع الهوية والتمزق الداخلي:.....56

9- البعد النفسي.....58

9-1 الصدمة واللاوعي الجمعي الفلسطيني: 58

9-2 آليات الدفاع النفسي (الإنكار، الإسقاط).....59

10- الصوت المقاوم: الضمير المقاوم بوصفه معنى للهوية.....64

10-1 الصوت الصامد / صوت الأمل الذي لا يخبو 65

خاتمة:.....69

الملاحق.....72

قائمة المصادر والمراجع: 77

فهرس المحتويات:.....84

ملخص:

تعتبر العلاقة بين الأنا والأخر من القضايا الفلسفية والاجتماعية حيث تتجلى في صراع دائم تشكل هوية الفرد والجماعة.

الانا: تمثل الذات الفردية ووعيه بذاته ورؤيته لوجوده في العالم.

الأخر: يمثل كل ماهو خارج للذات سواء كان فرد، أخر ، جماعة، ثقافة، أو من مفاهيم ومعتقدات تختلف عن الذات.

فظهر صراع الهوية عندما تتأثر الأنا بالأخر هذا الصراع يمكن ان يكون داخليا حيث يعبر الفرد بالتشتت بين هويته الاصلية وضغوط التكيف مع الأخر.

Abstract:

The relationship between the self and the other is considered one of the philosophical and social issues, as it is manifested in a constant struggle that shapes the identity of both the individual and the group.

The self: represents the individual's own identity, his awareness of himself, and his perception of his existence in the world.

The other: represents everything external to the self, whether it is another individual, group, culture, or concepts and beliefs that differ from the self. The identity conflict emerges when the self is influenced by the other. This conflict can be internal, as the individual experiences confusion between his original identity and the pressures to adapt to the other.